الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل–

كلية الآداب واللـغات قسم اللغة والأدب العربي

موضوع المذكرة

المرأة في شعر أمير الصعاليك

عروة بن الورد

مـذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين: إشراف الأستاذة:

– أسماء يونس جميلة بورحلة

– صباح جبلي

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذة: صديقة معمّر..... رئيسـا

الدكتورة: جميلة بورحلة.....مشرفا ومقررا

الأستاذ(ة): كريمة بوخاري.....عضـوا مناقشا

السنة الجامعية:

1440/1439هـ

2019/2018 م

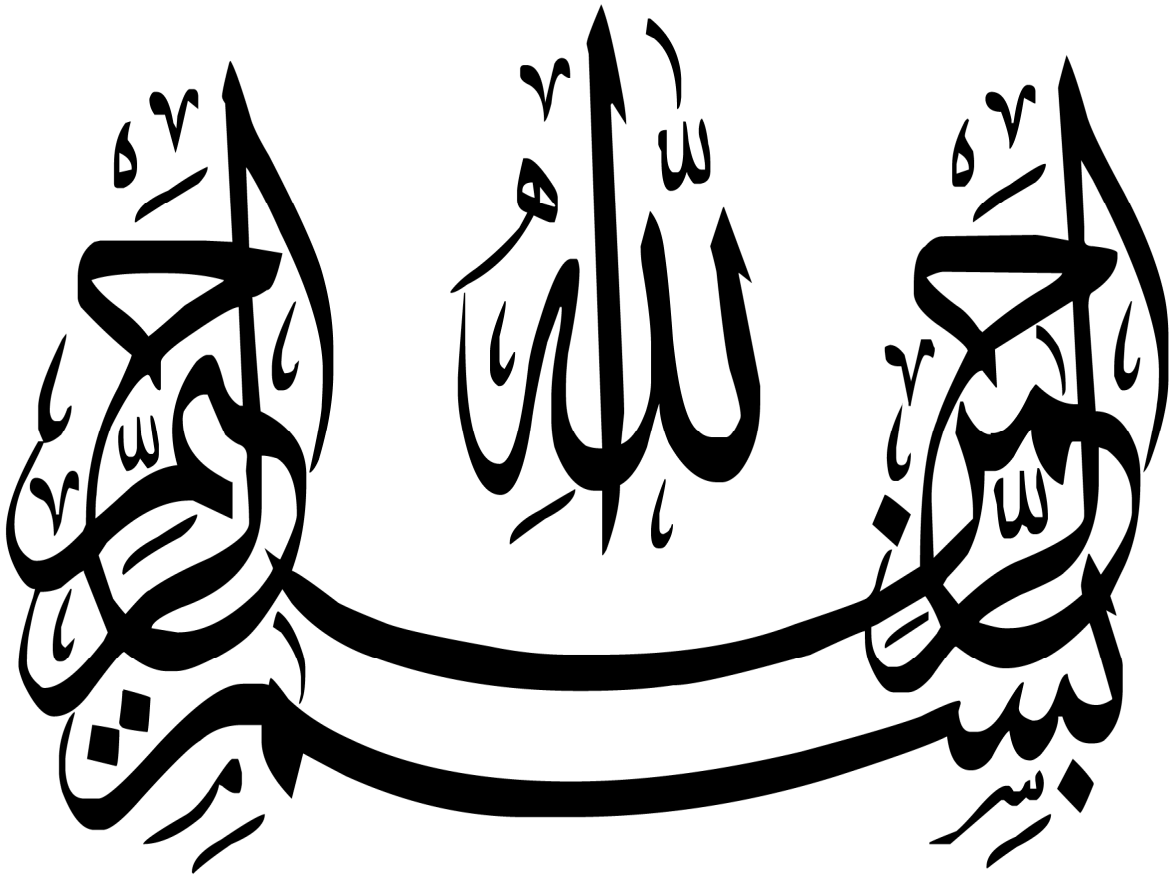
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قبل كل شيء نحمد الله ونشكره على جزيل فضله ونعمه، فهو الذي وفقنا لإتمام هذا العمل.

نتوجه بخالص المحبة والعرفان إلى أستاذتنا الفاضلة الدكتورة "جميلة بورحلة" شاكرين لها إشرافها علينا وتأطيرها هذا البحث.

كما نتوجه بخالص شكرنا وامتناننا للأستاذ الدكتور "عبد الله عيسى لحيلح" على الجهود التي بذلها معنا وعلى نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى:

"بوجعدار مراد "

على مساعدته لنا في إنجاز هذا العمل

ونتوجه كذلك بالشكر إلى كل من ساعدنا ولو بكلمة طيبة أو دعاء خالص.

كما لا ننسى أساتذة قسم الآداب بصفة عامة و إلى عمال المكتبة

وكل الذين

درسونا بصفة خاصة من المرحلة الابتدائية

إلى المرحلة الجامعية

وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة

نالت المرأة نصيبا وافراً من الشعر في العصر الجاهلي، إذ لا نكاد نلمس شاعرا من شعراء هذا العصر إلاّ ووظف المرأة في شعره، إمّا واصفاً أو معجباً أو متغزلاً أو عاشقاً لها... خاصة المحبوبة التي أطنب الشعراء في الحديث عنها، حتى خصّوا جزءاً من قصائدهم للتغزّل بها، ومن بين هذا الشعر نجد شعر الصعاليك، هذه الطائفة التي لم يصلنا من شعرها إلاّ القليل لسبب من الأسباب، إمّا لعيشهم معزولين في مجاهل الصحراء أو لقلّة أشعارهم وتناثرها بين كتب الأدب وغيرها، وضياع الكثير منها، نجد من بين هؤلاء الصعاليك "عروة بن الورد العبسي" الملقّب "بأمير الصعاليك" الذي وظّف المرأة في شعره ومنحها نصيبا من الوقت للحديث عنها.

لذا كان موضوع بحثنا بعنوان: "**المرأة في شعر أمير الصعاليك عروة بن الورد**".

من هنا نرى بروز العديد من الإشكاليات، منها إشكالية رئيسية تمثّلت في: كيف جسّد عروة صور المرأة في شعره؟

وإشكاليات فرعية أهمّها: كيف كانت نظرة الجاهلي للمرأة؟ وما المقصود بالشعراء الصعاليك وما يميّزهم؟ وما هي مميزات شعرهم؟

لنفترض أنّ الصعاليك هم مجموعة من الشعراء الذين تبرّأت منهم قبائلهم لسبب أو لآخر، أمّا عن مميزاتهم فهم أصحاب شجاعة وفراسة وفصاحة، أمّا عن نظرة الجاهليين للمرأة فقد كانت في أغلبها نظرة احتقار لما تجلبه لأهلها من عار.

من هذه الفرضيات نبرز أسباب اختيارنا لهذا الموضوع والتي تكمن في رغبتنا في التعرف على هذه الطائفة الشاذة من الشعراء الجاهليين، وعلى حياتهم المعيشية، وكيفية تعاملهم مع غيرهم، كما رغبنا في التعرّف على كيفية تجسيد الصعلوك عروة بن الورد لصور المرأة.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع أعدنا بعث النظر في مثل هذه البحوث التي من خلالها نبقى محافظين على بعض ما خلفه الشعراء القدماء والتي تعتبر إرثا ثقافيا لابد من المحافظة عليه، من أجل معرفة حياة العربي القديمة من مختلف جوانبها، خاصة أخبار المرأة وأحوالها باعتبارنا نسوة.

وقد اتبعنا في دراستنا هذه خطة بحث مكوّنة من:

– مدخل: بعنوان "نبذة عن العصر الجاهلي" وتناولنا فيه العصر الجاهلي بمختلف جوانبه (الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الدينية، العقلية، اللغوية، بالإضافة إلى تحديد العصر من حيث الزمان والمكان).

– أمّا عن الفصل النظري فقد عنوناه بـ "الصعلكة والصعاليك"، ووضّحنا فيه العناصر التالية:

- مفهوم الصعلكة.
- نشأتها وأسباب ظهورها.
- أخلاق الصعاليك.
- أهم الشعراء الصعاليك.
- خصائص شعر الصعاليك.

– وأبرزنا في الفصل التطبيقي المعنون بـ "المرأة في شعر عروة بن الورد" ما يلي:

- مكانة المرأة في الجاهلية، مبيّنين في ذلك ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات، مركّزين اهتمامنا حول قضية الوأد.
- أصناف المرأة عند عروة بن الورد والتي تمثّلت في الأم والزوجة.

وأخيرا خاتمة البحث التي ذكرنا فيها بعض النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

– وأفردنا الملحق للحديث عن عروة وإنسانيته، وشاعريته.

معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، فتمثل المنهج الوصفي في وصفنا لحياة الصعاليك وذكر صفاتهم، كما وصفنا نظرة المجتمع الجاهلي للمرأة، أمّا المنهج التحليلي فاستعملناه في تحليل بعض الأبيات التي يصف فيها المرأة وتحليلها موضوعيا، نفسيا، لغويا.

مستعينين بمجموعة من المصادر والمراجع من أهمّها:

- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك.
- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه لعبد الحليم حفني.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ليوسف خليف.
- المرأة في الجاهلية لحبيب الزّيات.
- المفضّل في تاريخ العرب قبل الإسلام للجواد علي.

أمّا عن الدراسات السابقة التي تعرّضت لهذا الموضوع، فهي موجودة وتناولها عدد من الباحثين، إلاّ أننا نرغب في التعريف بشعر عروة بن الورد الذي عدّ أمير صعاليك زمانه، ولكن لم يوفّ حقّه من البحث والدراسة، فلا نجد حظّه من البحث إلاّ مجموعاً مع غيره من الصعاليك.

وبالنسبة لعوائق البحث فكانت على العموم قليلة والحمد لله، وقد تمثلت في طبيعة وصعوبة الشعر الجاهلي، فهو شعر غير محقّق بنسبة كافية.

وفي الختام نتوجّه بخالص الشكر لله أوّلا، وإلى الأستاذة المشرّفة الدكتورة "جميلة بورحلة" ثانيا، وإلى كل من مدّ يد العون في إنجاز هذا البحث.

المدخل

نبذة عن العصر الجاهلي

أولا: موطن العرب في الجاهلية

ثانيا: الإطار الزماني للعصر الجاهلي

ثالثا: الحياة في الجاهلية

أولا: موطن العرب في الجاهلية:

موطن العرب في جاهليتهم، يمتد في رقعة من الأرض واسعة، ذات بقاع متباينة، تختلف بيئاتها الطبيعية اختلافا يكاد يجعل منها مواطن متعددة وإن كانت مع ذلك وطنا واحداً متماسكا، فما بين بحر فارس، ونهري دجلة والفرات في الشرق إلى البحر الأحمر إلى نهر النيل في الغرب.[1]

من الطبيعي أن تكون هناك أجواء مختلفة تعم شبه الجزيرة العربية باعتبارها ذات بقاع متباينة ومساحتها جدّ شاسعة، وتضاريسها وعرة وبسبب هذا نجد سكانها يعتمدون على التنقل والترحال من أجل البحث عن الظروف الملائمة للعيش.

ثانيا: الإطار الزماني للعصر الجاهلي:

العصر الجاهلي هو أول العصور الأدبية انطلاقا، وهو كغيره من العصور الأدبية له حقبة زمنية تحدده من أول ظهوره إلى غاية انتهائه.

قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقبة وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن بهذا الاتساع، إذ لا يتغلغلون به إلى وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية التي جاءنا عنها الشعر الجاهلي.[2]

أي أن العصر الجاهلي هو ذلك الزمن الذي سبق مجيء الإسلام والبعثة النبوية والذي دام عمرا طويلا إلى أن جاء نور الإسلام وأضاء الحياة وأخرجها من الظلمات إلى النور.

ثالثا: الحياة في الجاهلية:

يرجع الفضل الكبير في نقل أخبار وأحداث العرب القدامى وأيامهم إلى روايات الرواة الإسلاميين والكتب والمخطوطات المتمثلة في أشعار الشعراء والسير الذاتية ... التي تم تدوينها آنذاك، والتي تحمل حياتهم بمختلف جوانبها.

---

[1]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط1، 1988، ص 13.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدبي العربي _العصر الجاهلي_، دار المعارف، ط24، 2003، ص 38.

1- الحياة الاقتصادية:

التجارة هي أساس حضارة العرب، كانت بلاد الشرق منذ الألف الخامس قبل الميلاد، مهد الحضارة القديمة، وقد تمازجت تلك الحضارات وتفاعلت وكانت التجارة من أهم عوامل الاختلاط والتمازج، وبلاد العرب بسبب موقعها الجغرافي، كانت صلة وصل بين الشرق الهندي، والغرب وطريقا للقوافل التي تحمل السلع ومع السلع حضارة وثقافة[1]، كما عرفت الزراعة في الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل يثرب وخيبر والطائف وكانت مكة مدينة تجارية بامتياز يبيعون فيها ويشترون كما يريدون، كما كان العرب يعيشون في بوادي الشام والدمناء والبحرين معيشة بدوية تعتمد على رعي الأغنام والأنعام، وكانوا لا يفضلون شيئا على حياتهم الرعوية البدوية، كان غذائهم فيها بسيطا ولباسهم بسيطا كغذائهم ليس أكثر من ثوب طويل يضمه في وسطه، وقد تلفه عباءة وغطاء للرأس يمسكه عقال.[2]

الحياة الاقتصادية للعرب في جاهليتهم، كانت بسيطة جداً كبساطة بيئتهم، كان جل اعتمادهم في العيش على ما ينتجونه بأيديهم من زراعة وصناعة وتبادل تجاري، وتربية الحيوانات التي كانت مصدرهم الغذائي الأول.

2- الحياة الاجتماعية:

لقد كان نظام القبيلة هو النظام السائد في شبه الجزيرة العربية، وكان لها دساتير يسير عليها المجتمع، وكانت تسود فيها أخلاق ومبادئ جعلت حياتهم الاجتماعية تختلف عن باقي العصور.

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاثة طبقات، أبناؤها الذين يربط بينهم الدّم والنسب، وهم عمادها وقوامها، والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية وخاصة الحبشة، والموالي وهم عتقاؤها، ويدخل منهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم لكثرة جرائرهم وجناياتهم، وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعه، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، وهذا الخلع إنّما كان يحدث في حالات شاذة، أمّا بعد ذلك فإنّ أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد ما يكون التضامن وأوثقة وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف، وقد تكونت حوله مجموعة من الخلال الكريمة، لعلّ خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة التي تضم مناقبهم من مثل الحكم والكرم والوفاء أو حماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شتم اللئيم والغض عن

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986، ص 73.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدبي العربي _العصر الجاهلي_، ص ص 76، 77.

العوراء، وليس هناك خلة تؤكد معنى العزّة والكرامة إلاّ وتمدحوا بها، فهم يتمدحون بإغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة.[1]

فالإنسان الجاهلي كان إنساناً شهم ذو عطف وكرم وجود صاحب وفاء ومساعد للمحتاج ومغيثه، فالطبيعة الجاهلية الصعبة حتّمت عليهم أن يكونوا إخواناً متضامنين مساعدين لبعضهم البعض.

3- الحياة السياسية:

لقد كان العرب في الجاهلية قسمان: أهل الحضر، وأهل البدو.

أهل الحضر وهم سكان المدن والقرى، كانوا يعيشون عيشة قرار وينقسمون إلى عدّة ممالك منها: مملكة حيمر، مملكة تدمر، مملكة الأنباط، مملكة المناذرة، مملكة الغساسنة ومملكة كندة، أمّا أهل البدو وهم القسم الأكبر، وقد انتشر أكثرهم في شمالي الجزيرة وهم لا يخضعون لنظام غير نظام القبيلة ولا يعرفون حكومة أو مملكة غير الأسرة والعشيرة، فكان مجتمعهم مجتمع القبيلة والخيمة، لا مجتمع الأمة والشعب.[2]

أي أنّ أهل الحضر هم الذين يعيشون حياة الاستقرار والرخاء، أمّا أهل البدو لم يعرفوا الاستقرار بل كانت حياتهم دائمة الترحال، يخضعون لنظام القبيلة التي تفرض هيمنتها وسيطرتها عليهم، وهم أكثر شقاءً وحرماناً من أهل الحضر.

4- الحياة الدينية:

كما كان للمجتمع الجاهلي أحوال اجتماعية وسياسية واقتصادية يحتكمون إليها، كان هناك كذلك أحوال دينية تبين اتجاه كل مجتمع وانتماءه وتحدّد ديانته وأصله.

فكانت هناك ثلاث ديانات سائدة: اليهودية، النصرانية والوثنية، أمّا اليهودية فقديمة العهد، دخلت الجزيرة في زمن إسماعيل وإبراهيم الخليل، وأمّا النصرانية فقد دخلت بلاد العرب[3] مند عهد الرسل خلفاء المسيح،

---

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الأدبي العربي _العصر الجاهلي_، دار المعارف، ط13، 1990، ص 67- 69.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 76- 79.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 79، 80.

في حين كانت الوثنية شائعة في شتى أنحاء الجزيرة على أساس فلكي، تقوم على عبادة القمر والشمس، كذلك عبادة الحجر، حيث تعد بعض الأحجار بيتا لها.[1]

اختلفت الديانات في العصر الجاهلي بين النصرانية واليهودية وعبادة الأصنام، فعبدت كلّ طائفة دين آباءها وأجدادها وعبدت كل ما وجدت آباءها عليه من أشياء وشرك بالله.

5- الحياة العقلية:

رغم بعد العصر الجاهلي عن العلوم والحضارات، ونقص الإمكانيات التي تسهّل عملية التعلم والتطور إلاّ أنّ هناك بوادر لظهور بعض العلوم والمعارف والأخبار.

لقد كان العرب على درجة من النضج العقلي وكانت لهم معارفهم، بما يتناسب مع عصرهم، وربّما أفادوا بعض المعارف من جيرانهم، وكانت الكتابة معروفة يقيدون بها مواثيقهم وعهودهم، ويقيدون بها كذلك بعض ما كانوا يعتزّون به من معارف، وفي الشعر الجاهلي إشارات كثيرة إلى أدوات الكتابة يقول أبو ذؤيب الهذلي:

عرفت الكتابة كرقم الدوا ة يزبره الكاتب الحميري

ويقول الأعشى:

ربي كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالهارق أنشدا[2]

أي أنّ العرب قديما كانوا بحاجة ماسة إلى شيء ليوثقوا به عهودهم فوجدوا الحل الأمثل لذلك وهو الكتابة، ولذلك فالكتابة كانت موجودة منذ قدم القدم.

يقول أحمد أمين: «ومظاهر الحياة العقلية في الجاهلية هي اللغة والشعر والأمثال والقصص، وهي فقط مظاهر عقلهم، أمّا العلم والفلسفة فلا أثر لهما عندهم ... ويوهمونك أنه كان عندهم علم منظم بأصول وقواعد، فإنّ ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدّى معلومات أوّلية وملاحظات بسيطة لا يصلح أن تسمّى علما أو شبه علم»

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 80.

[2]- فوزي أمين: دراسات في الشعر الجاهلي، دار المعرفة، (د ط)، 2002، ص 9.

ويقول زيدان من جهة ثانية مستطلعا حقيقتهم العلمية: "إنّ لهم علوماً تكشف عن ذكاء ونباهة، وصفاء أذهان وصدق نظر"، فيجيبه أحمد أمين أنّ هذه الأشياء لم تكن "علما منظما بأصول وقواعد إنّما هي معلومات أوّلية وملاحظات بسيطة"[1]

والثابت أنّ الجاهليين عرفوا الطب، منه ما كان قائما على أعمال السحر والرقي ومنه ما كان قائما على العقاقير والحشائش والكي والبتر وعرفوا البيطرة لشدة حاجاتهم إلى مداواة حيواناتهم، إلى جانب ذلك نرى معارفهم بظواهر الطبيعة لحاجاتهم الدائمة إلى التنقل، ولهم أخيرا إلمام بالكهانة وهي التنبؤ بالغد والعرافة وهي معرفة الماضي والقيافة، وهي تتبع الأثر والاستدلال على الإنسان من هيئته، والريافة وهي معرفة مواضع المياه في الأرض، والفراسة وهي الاستدلال على الأخلاق من الملامح.[2]

فمظاهر العقل في الجاهلية قول الشعر وسرد القصص وضرب من الأمثال والحكم ودراسة علوم اللغة، كذلك عرفوا قليلا من التداوي بالأعشاب ومعالجة حيواناتهم التي كانت أساس حياتهم، فهم يستعملونها في التنقل والترحال.

أمّا الجهل الذي وسم به هذا العصر كان لا يقصد به الجهل المعرفي وإنّما يقصد به ربّما جهل البطش والعدوان، وكلمة الجهل كثيرا ما استخدمت في الشعر الجاهلي بمعنى البطش وذلك معناها في قول عمر ابن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وربّما أيضا كان المقصود بالجهل الجهل الديني، فقد كان العرب في عمومهم وثنيين.[3]

أي أنّ كلمة الجهل في العصر الجاهلي لم تكن تعني ذلك الإنسان الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ونقيض المعرفة، وإنّما كانت تعني حياة العدوان والفتك والبطش والإغارة والتعصب التي كانوا يعيشونها.

6- اللغة:

كانت هناك لغة عامة متداولة في غربي الجزيرة العربية، وشرقيها وشماليها وأواسطها، هي اللغة الفصحى التي نتحدث بها اليوم، وكانت لغة قريش سائدة بين القبائل في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأكبر الدلالة على

---

[1]- جورج غريب، من التراث العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1: 1975، ط2: 1975، ط3: 1980، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- فوزي أمين، دراسات في الشعر الجاهلي، ص 9.

ذلك أنّنا نجد شعراء الحجاز في مدنه وباديه، وشعراء نجد وطئ وغسان وقضاعة في الشمال، وشعراء شرقي الجزيرة في عبد القيس وتميم وبكر وتغلب والعبادين سكان الحيرة وشعراء اليمامة، كل هؤلاء ينضمون أشعارهم بلغة واحدة هي الفصحى، واتسعت موجتها فشملت بعض القبائل في الجنوب مثل بني عبد الحارث سكان نجران وقبائل الأزد في جنوبي الحجاز.[1]

إذن كانت هناك في العصر الجاهلي لغة واحدة سائدة ألا وهي اللغة العربية الفصحى، فقد سادت بين جميع القبائل، وتناولها الشعراء والخطباء والحكماء والكهنة، مترفعين بها عن لهجات قبائلهم.

من خلال تطرقنا للعصر الجاهلي، وفيما تعرفنا عليه من ملامح الحياة الجاهلية بمختلف جوانبها (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية، الثقافية، واللغوية)، يتضح لنا جليا أن المجتمع الجاهلي كان يعيش حياة بسيطة كبساطة بيئته وعصره، تقوم حياته على التنقل والترحال خاصة في البادية، تنظمه سلطة القبيلة والمملكة، كما كان غذائه بسيطا كذلك رغم صعوبة الحصول عليه، بالإضافة إلى ظهور بعض المعارف والعلوم المحدودة التي لا تتصف بالكثرة والتنوع من كتابة وتداوي بالأعشاب وأخبار الأنساب ... كما لا ننسى أهم شيء تميز به العصر الجاهلي وهو عبادة الأصنام الذي يعتبر دين آباؤهم وأجدادهم الأولون فتمسكوا به إلى أن جاء الإسلام ليبطل هذا المعتقد، أمّا اللغة التي كانت سائدة آنذاك هي اللغة الفصحى بصفة عامة.

[1]- شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، ط2، 1984، ص 01.

الفصل الأول

الصعلكة والصعاليك

أولا: تعريف الصعلكة

ثانيا: نشأتها وأسباب ظهورها

ثالثا: أخلاق الصعاليك

رابعا: أهم شعراء الصعاليك

خامسا: خصائص شعر الصعاليك

أولا: مفهوم الصعلكة

1- لغة:

بالعودة إلى المعاجم اللّغوية من أجل الحصول على معنى الصعلكة نجد لها معاني عدّة، فقد جاء في معجم الصحاح للجوهري:

«صعلك: الصُعلوكُ: الفقير.

وصعاليك العرب: ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنَّهُ كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنمهُ.

والتصعلك: الفقر – ويقال تصعلكتِ الإبل إذا طرحت أبارها»[1]

وورد في القاموس المحيط: «صعلكهُ: أفقرهُ، والثريدة: جعل لها رأس أو رفع رأسها. والبقل: الإبل سمنها، ورجُل مصعلك الرأس: مدورُهُ والصعلوك، كعصفور: الفقير. وتصعلك: افتقر، والإبل: طرحت أوبارها. وصعليك: اسم»[2]

أمّا في لسان العرب "لابن منظور": «صعلك: الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزمري ولا اعتماد وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك؛ قال حاتم الطائي:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقياناه، بكأسيهما، الدهرُ

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غِنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر»[3]

---

[1]- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تح: خليل مأمون سيخا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2008، مادة (صعلك)، ص 591.

[2]- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر العوريني، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2007، مادة (ص ع ل ك)، ص 959- 960.

[3]- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 2005، مادة (ك، ل)، ص 66.

أمّا في معجم الوسيط: "صعلكه: أفقره، والبقل الذواب، أسمنها، والصعلوك: الفقير، جمع صعاليك، وصعاليك العرب فتاكها.

المصعلك: رأس مصعلك: رأس مدوَّر"[1]

اتفقت كل المعاجم اللّغوية على أنَّ الصعلكة في مفهومها اللّغوي هي الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهره ضامِراً هزيلاً بين الأغنياء والمترفين.

صاحبا اللّسان والقاموس متفقان على أنَّ المعنى الأصلي للصعلكة هو الفقر، وأنَّ استعمالاتها تدور حول التجرد الذي هو الفقر، إلاّ أنّ صاحب اللسان أضاف كلمة "ولا اعتماد" وهو بذلك يميز الصعاليك عن غيرهم من الفقراء بأنّهم رفضوا أن يعيشوا عالة على غيرهم.

أي ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتّكل عليه بشق طريقه فيها، ويعينه عليها، حتى يسلك سبيلهُ، كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة ويواجهون مشكلاتهم يدا واحدة.[2]

والاعتماد هنا يقصد به التوكل على الغير وطلب المساعدة ويد العون، هناك معنى سلوكي عرفي آخر تنبّه له أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب حيث قال: "والصعلوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات"[3] وتدلّ هنا الصعلكة على اللّصوصية وقطع الطريق وسائر أساليب السلوك العدواني الذي يهدف إلى جمع الغنائم والخيرات.

هناك ألفاظ أخرى تشارك الصعلكة في مدلولها ومعناها وهي ألفاظ كثيرة أشهرها "لص، ذئب، فاتك، خليع، شيطان، شاطر، وأقرب هذه الألفاظ إلى المدلول العرفي للصعلكة هو اللّص، وذلك بحكم وضعه اللّغوي وبحكم استعماله"[4]

من خلال هذه الألفاظ المرادفة لمصطلح الصعلكة يتبين أن الصعلكة ظاهرة اجتماعية منبوذة ومذمومة بحكم هذه الصفات القبيحة التي تطلق عليها، وأن الصعلوك يتصف بصفات تسيء لسمعته وتحطُّ من قيمته، وأنَّهُ

---

[1]- معجم الوسيط، تح: إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، ج1، (د ت)، (من أول الهمزة إلى آخر الضاد)، مادة (صعر)، ص 515.

[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1978، ص 23.

[3]- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د ط)، (د ت)، ص 565.

[4]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 20.

عالة على المجتمع وهو يشبه بذلك الذئب المفترس الذي ينهش فريسته نهشاً عندما يكون جائِعاً ولا يجد ما يسد جوعه، وكذلك يشبه الذئب في طبيعة شخصيته وأسلوب عيشه، وأنَّ تعدّد واختلاف هذه الألفاظ المرادفة للصعلكة إنْ دلّت على شيء فإنَّها تدلُّ على تنوع أساليب عيشهم وسلوكاتهم واختلاف غاياتهم وهدفهم من هذه الغنائم.

كما نجد كذلك مصطلح الصعلكة وارداً في الاستعمال الأدبي حيث كانت العرب تستعمل هذا المصطلح لتدلَّ به على «الصفات الخاصة التي تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه وبالأسلوب الذي الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع»[1]

من هنا نستطيع القول إنّ مصطلح "الصعلكة" ذو استعمالين، استعمال لغوي يدلُّ على الفقر والحاجة واستعمال عرفي اجتماعي يدلُّ على الصفات التي يتحلى بها الفرد داخل مجتمعه، وكذلك طريقة وأسلوب تعامله مع ظروفه والوضع الذي يتخبَّط فيه.

2- اصطلاحاً:

تعرفنا فيما سبق على المعنى اللّغوي للصعلكة كما تعرفنا على معناه في الاستعمال الأدبي، العرفي والاجتماعي، الآن سوف نتعرّف على المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح.

نجدُ أنَّهُ يدلّ على: «الصعاليك هم فئة خاصة تتميّز عن المجتمع بطابع خاص شعاره الاعتداد بالنفس دون الأهل أو القبيلة، وسيلته العدوان في أي صورة تتهيأ له، فيقطع الطريق حينما يتاح له قطعها، ويسطو ويغزو متى وجد إلى ذلك سبيل، ويفتك حينما تمكنه الغرة، ويتلصّص إنْ لم يجِد ما سبق وسيلة، ويجعل غايته من ذلك كله الحصول على الغنى والمال في أغلب الأحيان أو تحقيق مآرب خاصة دائِماً»[2]

من هذا المفهوم يتّضح لنا أن الصعاليك هم طائفة تمرّدوا على الأهل والقبيلة، سواء بإرادتهم أو غصباً عنهم، فاختاروا الصحراء القاحلة موطناً لهم بدلاً من بيوتهم وعشائرهم، واتخذوا من السلب والنّهب وقطع الطرق

[1]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي والإسلامي، ص ص 26، 27.

[2]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 27.

والسطو وسيلة لجلب الرزق وجمع الغنائم وأسلوباً للعيش والبقاء، وتميّزت هذه الطائفة بالظلم والعدوان، والنّصب والاحتيال والمكر والخداع، والكرّ والفرّ وسرعة العدو، وذلك نتيجة لظروفهم القاسية.

كذلِكَ في تعريف آخر للصعلكة هي: "حركة ثائرة على النظام القبلي شارك فيها أفراد خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وجرائمهم، وآخرون من الحبشيات أخذوا منهن سواد اللون؛ فنبذهم المجتمع ظلماً وهم أغربة العرب "[1]

معنى ذلِكَ أن هؤلاء الصعاليك عبارة عن مجموعات منبوذة من المجتمع حيث اختلفت الأسباب التي أدت بهم إلى الخروج للتصعلك من فئة لأخرى، فمنهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم، ومنهم أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم أبائهم ولم يلحقوهم بهم لعار أمهاتهم اللواتي يشاركونهم سواء بشرتهم وهم أغربة العرب وهناك مجموعة ثالثة على غير المجموعتين السابقتين، بلْ احترفت الصعلكة احترافاً لسبب من الأسباب.

فالصعلكة وإن كانت تعني الفقر، إلاّ أنّها مهنة امتهنها أصحابها بسبب حاجاتهم وعوزهم وتمردهم على النظم السائدة في مجتمعهم، فبرز بذَلِكَ المعنى العرفي السلوكي الذي يدلّ على السلب والنهب والتجرّد للإغارة من أجل انتزاع الحقوق انتزاعاً نتيجة لوضعهم الاجتماعي المزري.

ثانيا: نشأتها وأسباب ظهورها

إذا نظرنا إلى الدراسات التي تناولها الباحثون والنّقاد حول موضوع الصعلكة بالدّراسة والتحليل والبحث، فإنّنا لا نجد أنّ هناك تاريخاً محدّداً ومضبوطاً لبداية الصعلكة، رغم علمنا بأنّ العصر الجاهلي هو العصر الذي بدأ فيه التصعلك، إلاَّ أنّهُ لم يكن هناك تاريخ محّدد لنشوء هذه الظاهرة، لأنَّ العصر الجاهلي عرف بعصر الرواية الشفاهية فلم يكن هناك تدوين أو تأريخ يقوم بحفظ التراث العربي أو يسجل الأحداث التي كانت تقع في هذه الفترة، حتى يسهل على الباحثين معرفة السلم الزمني لهذه الأحداث، أو تحديد زمن معين لظهور ونشأة التصعلك، لهذا السبب ضاع الكثير من التراث الأدبي، واختلف الباحثون في تأريخ بعض الحوادث التاريخية، كما أجحفوا في حق نسبة بعض الأعمال الأدبية لغير أصحابها الحقيقيين.

[1]– رزاق زهور، الدلالة الصوتية في شعر الصعاليك، عروة بن الورد نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص 7.

من هذا المنطلق نبرز ما قدمه عبد الحليم حفني في كتابه "شعر الصعاليك" عن نشأة شعر الصعلكة إذ يقول: «من الصعب تحديد بدء الصعلكة من الناحية الزمنية لأكثر من سبب، فمن ذلِكَ أن التاريخ العربي نفسه قبل الإسلام غير محدّد على وجه الدّقة ... وذلك بسبب عدم قيام دولة جَامعة قبل الإسلام ولم يظهر لنا مؤرخ يسجّل لنا تاريخها، ولظروف كثيرة أيضاً كعزلتها ... كذلك أنّ ظاهرة الصعلكة لم تكن حدثاً من الأحداث الطارئة أو العارضة في حياة المجتمع العربي قبل الإسلام؛ وإنّما كانت ظاهرة نبعت من ظروف ولازمته كجزء منه لذَلِكَ لا نتوقع بأن يكون لها تاريخ مستقل»[1]

فهذه الأسباب التي ذُكرت أعلاه توحي لنا بأنّها أدّت إلى ضياع الكثير من الأحداث التاريخية المهمة التي كانت سائدة آنذاك كالحروب وبعض الظواهر التي طرأت على المجتمع، كما أدّت إلى عدم تسجيل زمن هذه الأحداث وتسلسلها الزمني، على رأسها ظاهرة الصعلكة التي لم يجد لها الباحثين تاريخ محدّد لبدايتها وغيرها الكثير.

رغم أنَّ الصعلكة لا تمتلك تاريخاً مستقلاً لذاتها، إلاَّ أنّنا لا ننكر أنّ العصر الجاهلي هو عصر بدايتها وانتشارها في مختلف مناطق الجزيرة العربية وصحرائها.

وأنّ تاريخها يرتبط بتاريخ المجتمع نفسه ونتيجة لذلك نجد أنّ الصعلكة لازمت كل العصور الجاهلية ... وكل أماكن الجزيرة العربية تقريباً.[2]

ولا ننكر أنّ كل حدث تاريخي أو ظاهرة متفشّية في المجتمع إلاَّ ورائها أسباب أدّت إلى ظهورها ونشأتها، أو دواعي استوجبت ذلِكَ الوضع. وحين نأتي إلى الأسباب التي أدّت إلى ظهور الصعلكة في المجتمع الجاهلي نجد:

أنّ هناك أسباباً مباشرة وأخرى غير مباشرة، كذَلِك أحداث سواء كانت عادية أو غير عادية، وبعض الظواهر الاجتماعية كالحروب والثورات وما يعرض في حياة الجماعات والأمم، تتميز بأنّها محدّدة بزمان ومكان ... وأمّا الظواهر الاجتماعية فتتمثل في انتشار عادة الثأر والعصبية القبلية التي نتجت عنها حروب كحرب البسوس

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ص 39، 40.

[2]- المرجع نفسه، ص 40.

التي ظلت نحو أربعين عاماً. وغيرها أسباب كثيرة فلا نقرنها بسبب واحد، وإنّما هناك أسباب متعدّدة مباشرة وغير مباشرة.[1]

من المعروف أنّ العصر الجاهلي انفرد بخاصية تميّز بها عن سائر العصور الأخرى ألاَ وهي العصبية القبلية، وعادة الثأر، والتي أدّت إلى نتائج وخيمة جداً جراء الحروب والصراعات التي استمرّت عشرات السنين بسبب هذه العصبية التي ظهرت من جديد في العصر الأموي بعدما انطفأت نارها بمجيء الإسلام، وبقيت مزروعة في قلوب الأمم وسارية في دمائهم إلى يومنا هذا، كذلِكَ قضية العنصرية وانتشار الطبقية، والتمييز بين أفراد المجتمع الواحد (بين الغني والفقير، بين القوي والضعيف ...)، كل ذلِكَ أدى إلى ظهور أفات اجتماعية، كظاهرة الصعلكة وغيرها.

على الرّغم من صعوبة الكشف عن أطوار النشأة الأولى للصعلكة، وعدم التيسير للباحث الطريق المؤدي إلى معرفة تاريخ ظهور الصعاليك، إلاّ أنَّهُ يمكن من خلال الظروف الاجتماعية، التي كانت تحيط بهم وأسلوب عيشهم وحياتهم والمعيشة الخاصة بهم، معرفة وتحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها هؤلاء الصعاليك وأماكن تواجدهم والأسباب المؤدية إلى ظهورهم.

تعدّدت واختلفت الأسباب التي أدّت إلى ظهور الصعلكة من فئة لأخرى، ومن صعلوك لآخر كلاً حسب ظروفه وبيئته وطبيعة مجتمعه، كما أنّها متفاوتة في أهميتها بالنسبة لهؤلاء الصعاليك، ويمكن أن نحصر هذه الأسباب فيما يلي:

1- الفقر:

يعتبر الفقر من أهم الأسباب الرئيسية التي تهدد وتفتك بالمجتمعات، فأينما حلّ الفقر ساد الظلم وانحلت الأخلاق وأصبح التعدي على حقوق الغير متفشياً.

ولاشكَّ أنَّ هذا الفقر يلقي ضوءًا قوياً على نشأة الصعلكة وكذلك على حياة الصعاليك المادية ... وشِعرُ الصعاليك أنفسهم ينطق بهذه الحقيقة، بل يمكن أن يقال إنّ الفقر كان أبرز المعاني التي تردّدت في شعرهم

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص ص 40، 41.

على الإطلاق، بل نكاد لا نجد شاعراً منهم لا يتحدث عن الفقر في صورة من الصور، وصورة الفقر عند الصعاليك لم تكن تمثل فقراً عادياً وإنّما فقراً قاسياً، وكانت آثاره من الجوع والهزل والحرمان أشدّ إمعاناً في القوة.[1]

فالفقر والجوع عدوَّان للإنسان، وهما يورثان لصاحبهما الضعف وقلة الشأن واستصغار وتحقير المجتمع له، باعتبار أنّهُ لا يجد قوت يومه، والواقع أن الفقر ليس جديدا ولا غريباً على البيئة في الجزيرة العربية خاصة في البداوة، حيث العزلة والحياة البسيطة التي تعتمد على الرعي وقليلاً من الزراعة، والترحال والنزاعات القبلية، كل هذه الأساليب أدّت بضعاف النفوس وقلائل العلم إلى الهروب من هذه الحياة القاسية ومن واقعهم المحتوم والخروج للبحث عن حياة أفضل وعن نمط عيش أحسن من الذي هم عليه.

فالفقر من حيث هو ليس غريباً ولا نادراً في هذه البيئة. ولكن الفقر من حيث هو لا نعتقد أنّهُ يكفي أن يكون سبباً في الصعلكة، وإنّما نعتقد أنّ الإحساس بالفقر هو الذي يصلح أن يكون سبباً، والفرق كبير بين الفقر والإحساس به، من حيث ما يترتب عليه من آثار في حياة صاحبيهما، ولا نعني بالإحساس مجرد العلم فكثير من الفقراء يعلمون أنّهم فقراء، والمفروض أن يعلم الفقير أنّهُ فقير ولكنّهم مع ذلِكَ يستكينون لقسطهم وحضّهم من الحياة، لأنَّ هذا العلم لم يبلغ من نفوسهم مبلغ الانفعال والتأثر، ولكن بعضاً أخر منهم يمس هذا الإحساس، ويثير حوافزها، فيترتب على ذلِكَ ما يترتب في حياته من سلوك وأحداث.[2]

فالمقصود هنا أنّ الفقر ليس فقير الجيب والبطن وإنّما الفقير هو الذي يفتقد إلى العلم ورجاحة العقل وقلة التدبير والتمعن في الحياة، فالإنسان الفقير الحكيم رغم ضعفه وقلة حيلته إلاّ أنّهُ يسعى وراء رزقه ويرضى بقضاء الله وقدره، ويستبدل الفشل والاستسلام بالتحدّي والطلب.

فمن أسباب الصعلكة الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض مترامية الأطراف يعتمد أهلها على الماشية التي يرعونها، فيأكلون من لحومها ويشربون ألبانها ويلبسون من أصوافها وأوبارها. فهم رعاة تتقلّب حياتهم من حيث الفقر والغنى تبعاً لظروف الحياة القاسية من حولهم، فالراعي دائماً يبقى رهين أحوال الطقس ونزول المطر، فالفقر كان دائماً سبباً بارزاً ومهماً في ظهور هذه الظاهرة في العصر الجاهلي[3]، يقول عروة بن الورد:

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 55.

[2]- المرجع نفسه، ص 56.

[3]- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب الجامعية الإسلامية_ غزة، 2007، ص 3.

دعيني للفقر أسعى فإنّي رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حَسَبَ وخير

ويقصيه النـــوى وتزدريه حليـــلته وينهره الصغير

ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جـــم ولكن للغنى ربٌ غفور[1]

لقد تعرّض عروة في هذه الأبيات إلى المجتمع المتعسف الذي يقلل من شأن الفقير لأنّهُ فقير وحسب، ويرفع من شأن الغني لأنّهُ غني فقط لا لشيء آخر، فلم يعجبه ذلِكَ ورأى بأنّهُ ظلم وجور، وثار على الأغنياء، وأشفق على الفقراء.

كذلِكَ الشاعر الصعلوك السليك بن السلكة، يصوّر لنا ما حلّ به من كثرة الفقر والجوع وحرمان وتهميش قال:

ما نلتها حتى تصعلكت حـــقبة وكدت لأسباب المنية أعرب

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني إذا قمت تغشاني ظلال فاسدف[2]

فالسليك يصف لنا حدّة جوعه وفاقة حاجته إلى درجة أنّهُ إذا قام من مقامه من أجل قضاء حاجته، لم يستطع، فدفعه هذا الوضع المزري إلى التفكير في حلٍ للخروج من هذا الوضع، فارتئى بأنّ الصعلكة هي حلّه الوحيد للقضاء على هذه الحياة البائسة والتخلّص من الفقر والجوع.

ونجده كذلِكَ يصرح في شعره، بأنّ الفقر أحد أسباب الصعلكة يقول:

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرجالي

---

[1]- ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1998، ص 79.

[2]- ديوان السليك، سعدي الضنادي، دار الكتاب العربي، (د ط)، 1994، ص 84.

يشق عليَّ أن يلقين ضيما ويعجز عن تخليصهن مالي[1]

فالفقر يجعل من صاحبه مكتوف الأيدي وملجوم الفم إلى درجة أنّهُ يرى الظلم بعينيه ولم يستطع رده، فما أفدح من تنتهك حرمة الإنسان وهو ينظر ولا يفعل شيء، فالسليك عبّر بكل حرارة وبكلّ حرقة عن وضعه المهين، وحاله المشين، ويرى بأنَّ الفقر هو سبب إهانته، وأنّ الفقر هو الذي قيَّد يداه من تخليص نسائه وحرماته من السبي والإهانة.

كما يصوّر الشنفرى جوعه تصويراً دقيقاً حيث قال:

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خويطة ماري تغار وتفتل

وأغدو على القوت الزهيـــــد كما غدا أزل تهاذه التنائف أطحل[2]

فالفقر والجوع هما هَمَّا الصعلوك الأكبر والذي يصوّرهما في شعره باعتباره مرآة حياته وصورة معيشتهم، وهما الدافع الذي دفع به إلى الصعلكة والإغارة والغزو والنّهب من أجل الحياة والعيش.

فالفقر سبباً بارزاً من أسباب ثورة الصعاليك على الأغنياء الذين يكنّون لهم الحقد والغيرة والعدوان، وهو سبب ثورتهم على مجتمعهم الظالم الذي طمس حقوقهم، والذي جعلهم يشعرون بالمذلة وعدم الثقة بالنفس، وسخطهم على حياتهم الدنيئة التي كان سببها هذا المجتمع الذي لم يسوي بين فئات المجتمع الواحد وجعل بينهم فوارق وفجوات أحطت من قيمهم وجعلتهم مهمشين.

2- غياب الدولة والسلطة الجامعة:

من المعروف أنّ شبه الجزيرة العربية كان يغلب عليها الطابع القبلي أي أنّها لم تكن تخضع لقوانين وأحكام محدّدة وسلطة جامعة.

فكلّما كانت القبيلة قويّة كلّما كانت أقدر على بسط سيطرتها وفرض رؤيتها على غيرها، فأصبحت القبيلة بنظامها هي السلطة المسيطرة على أمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمن ينتمون لها، فأبى

[1]- ديوان السليك، سعدي الضنادي، ص 89.

[2]- ديوان الشنفرى، عمر بن مالك، تح: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 63.

الصعاليك الخضوع لهذه السلطة لأنّهم لا يؤمنون بأي سلطان من أي نوع، ونجد هذه النزعة شائعة في شعرهم[1]، يقول الشنفرى في لاميته:

أقيموا بني أمّي صـــــدور مطيّكم فإنّي إلى قـومٍ سواكم لأميل

فقد حمّت الحاجات والليل مقمر وشذت لطيـات مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلَى متعزّل

لعمرك بالأرض ضـــيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل[2]

يتحدث الشنفرى هُنا عن بنو الأم وهم الأشقياء والتعساء ويتحدّثُ عن الإبل واستعدادها للرحيل، وأنّهُ سيرحل عنهم وأنَّهم لا مقام لهم بعده، كما يذكر أنّهُ سيخرج وسيرحل عنهم بهدوء في الليل في قوله "والليل مقمر"، كما أنّهُ يذكر في البيت الأخير عبرة وهي أنّ الأرض واسعة لصاحب الحاجات والأمال كما للخائف أيضاً.

وهذا تأبط شراً يتمرّد على القبيلة وأعرافها، محاولا فرض رؤيته عليها، حيث قال:

إنّي زعيم لئن تتركوا عـــــذلي أن يسأل الحي عنّي أهل آفاق

أن يسأل القوم عنى أهل معرفةٍ فلا يخبرهم عـــــن ثابث لاقي

لتقْرَ عن علي السن مـــن ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي[3]

نجد تأبط شراً مفتخراً بنفسه وبصفاته، ذاكراً كرمه وجوده.

كذلك نجد عبد الله بن سبرة الحرثي يقول:

---

[1]- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص 05.

[2]- ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، ص 58.

[3]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 46.

إذا شالت الجونه والنجم طالع فكل مخاضات الغـــراتِ معــاير

وإنْي إذا ضن الأمـــــير بإدنه على الاذن من نفسي إذا شئت قادر[1]

فالصعاليك رغم فقرهم وضعفهم إلاَّ أنّهم لا يرضون أن يخضعوا للسلطان الظالم ولا يتنازلون لأحد عن حريّتهم.

والحقيقة أنّ الصعلكة بقيت حتى وبعد وجود السلطة القوية وهذا يفسّر جانباً من شخصية الصعاليك، حيث التمرّد والنفور وكره الانقياد ورفض العيش الذليل، والرضى بالقيم، فهذا مالك بن الريب يقول:

إن تنصفونا يـــال مــروان نقترب إليكم وإلاّ فأذنوا ببـــعادِ

فإنَّ لنا عنكم مـــزاحا ومــزحلا بعبس إلى ريح الفلاة صوادي

وفي الأرض عن دَار المذلّة مذهب وكلّ بلادٍ أوطـــنت كبلادي

فما ترى الحـــــجاج يبلغ جهده إذ نحن جاوزتنا حفير زياد[2]

نرى هنا أن مالك بن الريب يرفض انتماءه إلى دولة بني أمية وإلى أحكامها الجائرة، كما أنّه يهجو ويسخر من الحجّاج حين يبدلون جهدهم.

فممّا ذكرنا سابقا نرى أنّ العرب في الجاهلية لم تكن تخضع لدولة جامعة موحدّة، وإنّما نجد عنصر القوة هو الحاكم في نظام القبيلة، هذا السبب أدّى إلى ظهور الصعاليك وذلك أنّهم لم يخضعوا إلى أي دولة وتمرّدوا على أحكام القبيلة ومنهم من اختار حياة الوحوش وفضّلها على حياة البشر.

3- طبيعة الأرض في الجزيرة العربية:

تعتبر الأرض والطبيعة الجغرافية عاملاً هاماً يتحكم في حياة ساكنيها، كما يأثر بشكل كبير على سلوكاتهم وطبائعهم، لأنّ الإنسان ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها.

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 45.

[2]- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص 06.

ونتيجة لما هو معروف من أن أرض الجزيرة العربية يغلب عليها الطابع الجبلي الصحرواي، نجد أنّ هذه الطبيعة تخلق حصوناً طبيعية لأبنائها، تحميهم حينما يلتمسون الحماية، وتخفيهم حينما يطلبون الخفاية ...، وأنّ البيئة العربية في الجزيرة كل ما فيها قاسٍ عنيف، ففقرها وجدبها قاس عنيف، ومناخها في كلتا حالته كذلِكَّ، برد شديد وحر أشد منه، كما يصف خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك برد "بيشة السماوة" فيقول: «حتى إذا كنا ببيشة السماوة بعث الله علينا ريحاً حرجفا (باردة) انجحرت لها الطير في أوكارها والسباع في أسرابها فلم أهتد لعلم جبل لامع، ولا لنجم طالع»[1]

كل شيء إذن في هذه الصحراء قاس وعنيف، وصعب المنال لما تتميز به هذه الأرض القاحلة والمترامية الممتدّة وجبالها المرتفعة ودروبها الوعرة وجوّها الذي لا يطاق، فكيف لا تنجب أبناء قساة وأشداء مثلها ما دام الإنسان ابن بيئته يأخذ عنها ويتعامل معها ويأكل منها ويتنفس هوائها.

يقول ابن خلدون عن العرب البادية: «وذلك أنّهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعبث، ينتهبون ما قدروا من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقفر»[2]، وابن خلدون من أول المنادين بأنّ الإنسان في خلقه وسلوكه ولغته ولونه ونفسيته ابن بيئته، وأنّ البيئة بكل ما تحويه من أرض ومناخ وخصب وراء كل اختلاف وتغاير بين البشر.[3]

فأهل البادية هم أشد قساوة وأكثر شجاعة في تعاملاتهم، مقارنة بأهل الحاضرة والمدينة، وذلِكَ راجع لطبيعة البيئة وظروف الحياة لكل منهما، فمن صفات أهل البادية القوة والشجاعة والتضحية وركوب الخطر من دون أي اعتراض أو تراجع، كما يتميزون بالخشونة في الطباع وعدم الاستسلام للمخاطر.

لذلِكَ نجد أن الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب إلاَّ أنّهم يفضلون دائماً أن يكونوا في كنف هذه الطبيعة الصعبة المنال، فنجدهم يألفون الجبال والقفار، والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها، وحين ننظر إلى شعرهم نجده حافلاً بذكر الأماكن الوحشية المبعدة في الوحشة والامتناع[4]، فتأبط شرا يصف موضع موحش يخافه العرب يقول:

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 63.

[2]- المرجع نفسه، ص 63.

[3]- المرجع نفسه، ص 63.

[4]- المرجع نفسه، ص 64.

ألا من مبـــلغ فتيان فهـــم بما لاقيت يوم رحـــى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوى بقفر كالصحيفة صحصحان[1]

كما يتحدث عن بعض الجبال والأماكن التي يرتادها فيقول:

ولا بالشليـــل رب مروان قاعدة باحسن عيش والنفاثي نوفل

أمشي بأطـــراف الحماط وتـارة تنفض رجلي اسبطا فعصوصرا

ويوماً بذات الرس أو بطن منجل هنالك يلقى القاص المتغورا[2]

فهذا الطابع الجبلي الصحراوي جعل من الصعاليك يتخذونه مكانهم المفضل لأنّهُ غرس فيهم طابع التوحش والتجلد، وروح المغامرة والمجازفة، حيث أصبحت هذه الأماكن هي مأواهم يترددون عليها بكثرة حتى أصبحوا يألفونها ويعتبرونها الأماكن الآمنة بالنسبة لهم، فهي تحميهم من الخطر وتحميهم من قبضة الأعداء إذا ما فتكوا بأحد لما تيسره من الاختفاء في مجاهلها ومتاهاتها.

فالأرض والطبيعة إذن عاملان مهمان ساهما في نشأة الصعاليك، والجزيرة العربية بطبيعتها المتميزة، تعتبر ملاذا آمنا للصعاليك بذلِكَ كان عليه أن يكون عالماً بمجاهِل الصحراء، يعرف دروبها وأوديتها وجبالها وواحاتها، وطرق تجارتها حتى يستطيع الغزو والفر، كل هذا جعل من الصعاليك يشعرون بنوع من الأمن على أنفسهم والابتعاد عن أعين الناس.

4- التمرّد والخروج عن الأعراف السائدة:

كانت المجتمعات الجاهلية تخضع لنظام القبيلة الواحدة، حيث يحتكمون إلى ضوابط وأعراف محدّدة، وقوانين مفروضة على جميع أبناء القبيلة الواحدة دون استثناء.

فكان يحكمهم دستور ينظّم سياستهم ويحدّد ما على أفراده من واجبات ومالهم من حقوق، ويتصل هذا الدستور فيما يتصل بالسياسة الداخلية للقبيلة ولا مجال للتفكير فيه، وفي مقابل الحقوق التي مُنحت لأفراد القبيلة

[1]- ديوان تأبط شرا، تح: علي بن دوالفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ص 20.

[2]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 64.

كان عليهم واجب لها وذلك أن يحترم رأي الجماعة، فلا يخرج عليها ولا يتصرّف تصرفاً بدون رضاها فلا يكون سبباً في تمزيق وحدتها أو الإساءة إلى سمعتها بين القبائل، وإذا ارتكب فرد جرماً رفضت القبيلة أن تتحمّل نتائجه وإذا أخطأ في حقّ قبيلة نفسها فإنّهُ يطرد منها، كأن يحدث سوء سلوك أحد الأفراد أو ارتكاب جريمة قتل مثلاً، في هذه الحالة تقوم القبيلة بخلعه حفاظاً على كرامة الجماعة.[1]

فنظام القبيلة الجاهلية نظام صارم، لا يرحم كل من تعدى عليه أو خالف أوامره، أو تصرّف تصرّفاً فردياً دون الرجوع إليه في هذه الحالة يكون عقابه شديداً، وذلِكَ بأن تقوم القبيلة بالتبرؤ وسحب الجنسية القبلية منه.

ومن هنا يجد الخليع نفسه أمام مشكلة خطيرة هي مشكلة الحياة أو الموت، لقد سحبت منه الجنسية القبلية، ورفعت القبيلة عنه حمايتها وطردته من حماها، ولم يعد أمامه إلاّ أحد أمرين: إمّا أن يفرّ إلى الصحراء ليلاقي مصيره في البادية القاسية فقيراً مفرداً، لا عماد له على أحد ولا على شيء، وإمَّا يلجأ إلى من يحميه ويعيش بجواره.[2]

أي أنّ القبيلة لما تخلع أحد من سلطتها وتسحب منه جنسيتها سيكون مصيره صعباً لا محالَ، وسيعيش حياة الفقر والتعاسة والشقاء، فمثلاً قيس بن الحدادية الذي خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجراها أحد عليه.[3]

وكذلك كان أبو الطحمان القيني من هذه الطائفة من الخلفاء الشذّاذ ولم تحدّثنا أخباره عن سبب خلعه، ولكن أرجح أنه خلع لسوء أخلاقه، ويصفه ابن قتيبة بأنّه كان فاسقا، ويقدّمهُ صاحب الأغاني بأنّهُ أدرك الجاهلية والإسلام فكان خبيث الدين فيهما، ويصفه رواة الأغاني بأنَّهُ «كان فاسقا خاربا»[4]

فالقبيلة لها نظم وقواعد تفرضها على من هو تحت رعايتها، وتطبقها على كل أبنائها، ومن يتجاوز هذه الخطوط التي رسمتها القبيلة أو يتصرّف تصرّفاً فردياً غير لائق، أو يرتكب سلوكاً مخالفاً لما عهدته ويطيح بشرفها أو يخدش سمعتها تطبق عليه قانون الخلع والطرد خارج القبيلة حتى تحافظ على شرفها وسمعتها بين القبائل الأخرى.

---

[1]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 91- 93.

[2]- المرجع نفسه،ص 95.

[3]- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص 09.

[4]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 100.

5- ظهور زعامات غير متزنة:

من الأسباب أيضاً التي ساعدت على نشأة الصعلكة ظهور زعامات غير متزنة في المجتمع الجاهلي، وعدم وجود سلطة أو قانون يحدّد ويبين لهم شروط الوصول إلى الزعامة أو الرياسة.

كانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر، وهؤلاء الرؤساء لم يكن هناك قانون ينظم وصولهم إلى الرياسة، وإنّما كانت هناك صفات تعارفوا على أن يسودوا من أجلها من يتحلى بها، وإنْ اختلفت نظرة القبائل إلى هذه الصفات، ومن هذا الاختلاف والاضطراب في تحديد مقومات الرياسة والسيادة وفي انطباق هذه المقومات على الذين تسند إليهم السيادة والرياسة، نقول أنّهُ من الواضح أنّهُ لم يكن للزعامة كما قلنا قانون ولو عرفي ينظّم الوصول إليها.[1]

فعدم وجود ضوابط وقواعد تسير عليها القبيلة، أو تنظم علاقات هذا المجتمع مع بعضه البعض، خلق خلافات وصراعات داخل القبيلة، ونزاعات حول الزعامة ورياسة العشيرة، ومَنِ الأصلح والأنسب بأن يكون حاكماً لهذه القبيلة، فعدم التوافق حول اختيار هذا الحاكم أو الزعيم الذي يتولى القبيلة دفع ببعض أفراد القبيلة ممّن لم يرضوا بهذا الوضع الخروج عن هذا النظام وعدم الخضوع له، واستغلال هذه الظروف من أجل التمرد والخروج عن سيطرة رئيس العشيرة، وعن هذا الظلم الذي تأباه النفوس وتمجه الطبائع.

كذلك قضية الطبقات الاجتماعية التي جعلت من المجتمع ينقسم إلى مجموعات تتفاضل بعضها عن بعض، كما فرّقت وميزت بين أبناء القبيلة، فهذه الطبقات تتمثل في:

طبقة الصرحاء وهم أبناء القبيلة وذووا الدم النقي، وطبقة العبيد المتمثلة في أولئك الأسرى الذين وقعوا في أيدي القبيلة جراء الحروب، وطبقة الموالي الذين يتألفون من العتقاء والعرب الأحرار الذين لجئوا إلى القبيلة، فعرفت كل طبقة منزلتها وحقوقها وواجباتها.[2]

من المعروف أن طبقة العبيد هم أدنى طبقة في المجتمع، ونظراً لأحوالهم الاجتماعية السيئة نجدهم غير راضين عن هذا الذل والتمييز وتفضيل بعضهم عن بعض، وهذا ما أدى بهم إلى ترك هذا المجتمع والتوجه إلى حياة

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 53.

[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 105- 108.

أخرى بحثاً عن الحرية المسلوبة منهم، لهذا نجد تشكّل فئة أو جماعة من الصعاليك متضامنين مع بعضهم البعض من أجل الوقوف ضد هذا المجتمع ونظامه.

6- المغامرة وإثبات الشخصية:

ممّا لاشكّ فيه أن الشجاعة والقوة، وحب المغامرة كانت شعار المجتمع الجاهلي، ولا نكاد نجد أحدا في القبيلة الواحدة إلاّ وتوفرت فيه هذه الصفات، التي تعتبر بالنسبة لهم مفخرة يتباهون بها، ويثبتون بها قوة شخصيتهم.

ولا استبعد أن تكون للمغامرة ولإثبات الشخصية دخلٌ أيضاً في حدوث الصعلكة، وفي تمرّد الشباب على مجتمعه...، فلو نظرنا إلى حالة الصعاليك نجد أنّ منهم من كان من أسرة متمكنة ولا بأس بأحوالها المادية ومع ذلِكَ عاش صعلوكاً لما وجد فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع، فحبّ المغامرة وإثبات الشخصية من أسباب الصعلكة في الجاهلية كذلِكَ، والصعاليك بعد حاقدون على مجتمعهم، متمرّدين عليه للأسباب المذكورة، أنبتت في أكثرهم عقد نفسية تكوّنت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم.[1]

فالصعاليك يفضلون حياة الفقر والتشرد والحرمان بدلاً من حياة الذّل والإهانة، وذلك لعزة أنفسهم وعدم التنازل عن كرامتهم فهم يعيبون الخامل منهم وينبذون الذي يتخلى عن شخصيته وكرامته وعرضه ويعتبرونه ضعيف الشخصية ولا يعتمدون عليه في أمور أخرى، ذلِكَ أنّ المجتمع الجاهلي مجبول عن التحدّي والثأر والتوعّد.

فظاهرة الصعلكة في المجتمع الجاهلي ناتجة عن عدّة أسباب منها: أسباب فردية كحبّ المغامرة وإثبات الشخصية، ومنها ما هو اجتماعي كالفقر وغياب السلطة الجامعة، ومنه ما هو راجع إلى أسباب جغرافية كطبيعة الأرض وقساوتها في الجزيرة العربية التي أدّت بهم للخروج إلى رمال البادية الحرّة الرّهيبة ليعيشوا فيها على شكل عصابات من خلعاء وشذاذ وأغربة وفقراء يجمعهم الفقر والتشرّد والإيمان بأنّ الحق للأقوى دائِماً، ومنهم من خلعته قبيلته، فلم يجد لنفسه حلاً إلاّ الهجرة إلى ضفاف أخرى، فلقد تعدّدت الأسباب وكثرت، ولكن النتيجة واحدة، وهي ظهور الصعلكة، كما لا ننسى أنّ هنالك طائفة لم يكن لها أي سبب للتصعلك إلاّ أنّها أحبت حياة الصعاليك والإغارة والحروب، فاندمجوا إلى هؤلاء الصعاليك وأصبحوا منهم.

[1]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، ج9، 1993، ص 602.

ثالثا: أخلاق الصعاليك

تميّز الصعاليك على غرار غيرهم من البشر، بعدة خصائص ومميزات جعلت من حياتهم تنفرد عن حياة غيرهم، كما نجدهم تميّزوا بنظام خاص ينظّم حياتهم ويسيرها، فبالرجوع إلى حياة الصعاليك وأشعارهم نجد هناك أخلاق وخصائص طاغية عليهم منها:

1- الفخر والشجاعة وسرعة العدو:

لعلّ الفخر والحماسة سمة جلية في شخصية الصعاليك، فلا تكاد تخلوا أشعارهم من الفخر بأنفسهم وبشجاعتهم وبأسلحتهم وبسرعة عدوّهم.

فخر العدائون بشدّة عدوهم وتباهوا بمقدرتهم على العدو السريع، حتى أنّهم نسبوا سَبب نجاتهم من الموت إلى عدوهم هذا الذي فيه مقدرة وشجاعة في ضبط الأعصاب وفي التصميم والإقدام على السلامة، والنجاة بالنفس وبقاء الحياة، فهم إن اختاروا الفرار وفضلوه على المعاركة والقتال فإنَّ ما اختاروه، لأنَّ فيه أمل المعاودة إلى قتال جديد، والسلاح للصعلوك هو الحماية الواحدة التي يتقي بها أدى الناس ويستعين بها في القضاء على خصمه وهو السيف والقوس والرمح والدرع، وكان لا يفارق سلاحه لأنّه لا يدري متى ينقضُّ عليه عدوّه فيقتله.[1]

فعزيمة الصعاليك وقوة إرادتهم وسرعة عدوهم جعلت منهم شجعان مغامرين مقاتلين لا يبالون بحياتهم في سبيل تحقيق أغراضهم، فحياتهم تتطلّب مثل هذه الصفات من أجل الوصول إلى مبتغاهم.

فهؤلاء الصعاليك لم يجدوا عيبا في عملهم بل إنّهم فاخروا به، ورأوه نوعاً من الفتوة والقصاص من اجل البخلاء فنجد أحد الصعاليك مفتخراً بنفسه إذ يقول:

وعيابة للجود لـــــم يدر أنني بإنهابا مال الباخلين موكّل

وغدوت على ما احتازه فحويته وغادرته ذا حيرة يتململ

[1]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ص 610، 611.

ولهذا الصعاليك يعدّون أنفسهم أحسن حال من الحاكم المرتشي ومن القاضي الذي يأكل أموال اليتامى[1]

ففي رأي الصعاليك أن عملهم هذا هو الأصوب والأصح دائِماً، فهم يفتخرون به، رغم المشاق والمتاعب التي يتلقون من جرّائها ويرون أنّه أفضل من حياة الظلم والرّشوة والفساد التي فرّوا منها.

2- العنف والقساوة والوحشية:

العنف والقساوة والوحشية أخلاق ذميمة اتصف بها الصعاليك وهي أخلاق تحط من قيمتهم وتجعلهم منبوذين من طرف القبائل، إذ يعتبرونهم ضعاف النفوس ومجرمين، على عكس الصعاليك الذين يرون في هذه الأخلاق قوة الشخصية والشجاعة والعزيمة.

ولصعوبة تصعلك الرجل بمفرده تكتّل الصعاليك كتلاً، وكونوا لهم فرقاً تكوّنت من أشتات وأنماط من الرجال، فيهم الحر الثائر وفيهم الأسود العبد، وفيهم الضال الغاوي، وفيهم القاتل الفاتك ...، وذلك للكفاح في سبيل المعيشة بأي طريقة وجدت ووقعت حتى بالقتل، فمن وجد شخصاً ومعه مال لا يجد الصعلوك والقاتل سبباً أخلاقياً يمنعهُ من قتله للحصول على ماله، كما لا يجد مانعاً يمنعه من الفتك حتى بزميله وصاحبه وشريكه في الإغارة والفتك.[2]

فالصعاليك لا يهمّهم شيئاً سوى السلب والنّهب من دون رحمة ولا شفقة، فهمّهم الوحيد هو جمع الغنائم والأموال وانتزاعها من أصحابها ولو كلّف ذلك حياة أصحابها، فطبيعة حياة الصعاليك وقساوة المجتمع عليهم ولَّد فيهم العنف والوحشية، وسوء السلوك والأفعال.

فالصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة وتغير على أحياء العرب لترزق نفسها ومن يأوي إليها، ويكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على أعراف قومهم، ومن الذين لا يبالون ولا يخشون أحداً من القبائل العربية المختلفة، صاروا قوة خشي منها وحسب لها حساب، خاصة وفيها شعراء فحول

[1]- ديوان عروة بن الورد، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 40.

[2]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ص 611، 612.

يحسنون الهجاء ويتقنون فن سب الأعراض، وفيها مقاتلون شجعان لا يعبئون بالموت ويفتكون بما يريدون الفتك به، خافهم الناس وامتنعوا جهد إمكانهم من التحرّش بهم ومعاداتهم.[1]

فالعنف والقساوة والوحشية والفتك والغدر، من شمات الصعاليك التي جعلت منهم وحوش يخافها البشر ويخشونها حيث زرعت في قلوبهم المهابة والرعب والخوف على حياتهم من كيد هؤلاء الذئاب والأسود الجائعة.

3- العطف والشفقة والرحمة:

على الرّغم من العنف، ومن هذه القساوة العنيفة، التي تصل إلى الوحشية نرى عند بعضهم روحاً إنسانية، فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة، والبر للأهل والأقارب بل وللغريب أيضاً، بل نجد هذه الروح أحياناً حتى عند القساة منهم ...، فإذا وجد الصعلوك غنيمة، وعاد إلى مقرّه سالماً ارتخت أعصابه، وهدأت سورته، وتذكر نفسه وما يقاسيه من ألم وجوع، فيعود إنساناً أخر، باراً بأصحابه حنوناً عليهم، نادِماً على حياة يعيشها جعلته يعيش مثل الوحوش الكاسرة، كريماً يعطي ممّا ناله بقوته وسلاحه وبذكائه.[2]

فالصعلوك على قدر قساوته وعنفه وحقده على المجتمع وعلى الأغنياء وأصحاب الأموال، إلاَّ أنَّهُ إنساني رحيم عطوف على الضعفاء والمحتاجين متضامناً مع أخاه الفقير وصديقه المحتاج، فهو يملك من السخاء والشفقة والطيبة ما يملكه غيره من الناس، وذلِكَ لما أصابه من فقر وحرمان وجوع ونقص جعله يحس بأخيه الضعيف المحتاج ويقاسمه من ماله ويغدق عليه من نعمه التي أخذها من أصحابها غصباً عنهم بعد جهد وعناء وشقاء.

4- الإيثار والكرم:

على الرّغم من حالة الفقر التي كانت تستوطن حياة الصعاليك، فإنّهم كانوا أصحاب مبادئ ومثل، وهم كرماء أجواد حتى ضرب بهم المثل في ذلك قال ابن الأعرابي: قال عبد الملك بن مروان: عجبت للناس كيف نسبوا الجود والسخاء لحاتم وظلموا عروة بن الورد، فقد كان النّهب والسّلب وسيلة من وسائل البذل والعطاء يقول أبو خراش:

---

[1]- عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب واللغات، منتوري قسنطينة، 2012، ص 14.

[2]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 613.

لقد علمت أم الأديبر أننـــي أقول لها هدي ولا تذخري لحمي

فإن غدا إن لا نجد بعض زادنا نفئ لك زاد أو نعـــدك بالأزم[1]

فالصعاليك يتباهون ويفتخرون بكرمهم وجودهم على غيرهم الضعفاء ويعتبرونه خلق محبذ، ينمي روح الأخوة والمحبة والتعاون والتآزر فيما بينهم وهذا ما جعلهم يرتفعون ويرتقون في أعين هؤلاء الفقراء، ويعتبرونهم أجود الناس.

وفي شعر ينسب إلى أبي خراش الهذلي، امتداحاً للكرم ولكرامة الإنسان في الحياة، وترفع عن المذلة وتباهٍ بإيثار الغير على نفسه مع أنّهُ فقير صعلوك فهو يقول:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي

وأغتبق المـــاء القراح فأنتهي إذا الزاد أمسى للـــمزلج ذا طعم

أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غـــيري من عيالك بالطعم

مخافة أن أحـــيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم[2]

فالشاعر هنا يمدح الكريم وكرمه وجوده، ويرى بأنّهُ سلوك حسن وخلق حميد، وأن الشجاع هو الذي يستطيع التحكم في بطنه، ويعطي غيره من طعامه ويقتسم معهُ قوته، كما يفضل الموت على حياة المذلة فهو يخاف أن يعيش حياته ذليلاً مرغما ويرى بأنّ الموت أهون عليه من هذه الحياة الرخيصة.

5- العفّة:

قد يبدوا الحديث عن عفتهم متعارض مع مسلكهم، حيث يعتمد سلوك الصعاليك على العدوان على أموال الناس، وأمّا عفّة الصعاليك في خلقهم الاجتماعي كما يبدوا واضحاً في شعرهم، فقد سمت إلى درجة من النبل لا نظنُّ أنّ شعراً صوّر خلقاً أو نبلاً أسمى منها، وليس شعرهم وحده هو الذي يصوّر هذه المثالية الرفيعة في أخلاقهم، فأخبارهم أيضاً لا تعارض هذا ولا تنفيه بل تؤيّده وتؤكّده، وعفّة الصعاليك في ترفعهم عن كل ما

[1]- عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي، ص 23.

[2]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 614.

يسيء إلى المروءة وكلم ما يخدش الكرامة والخلق النبيل عفّة مطلقة غير محدودة بنوع أو مجال معين، ففي كل مجال من مجالات السلوك الاجتماعي يتميزون بهذه العفّة والخلق الكريم، وعرف هذا عنهم حتى أنَّ واحداً منهم شذّ عن هذا الخلق كان شذوذه بيّناً متميزاً، وكان موضع غرابة وإنكار من روّاة الأخبار وكأنهم يقولون أنّ هذا ليس خلق الصعاليك.[1]

فالعفّة خلق حميد امتاز به الصعاليك أكثر من غيرهم، واعتبروه في مقدمة أخلاقهم، فلا يخلوا جانباً من جوانب حياتهم إلاَّ وتحلّوا بهذه الصفة التي يعتبرونها سمة لابدَّ منها في تعاملهم مع غيرهم، فمن تصرّف تصرّفاً مخالفا لها تركوه، فهم ترفّعوا عن كل عمل دنيء يحط من قيمة الإنسان، فعفّتهم كرامتهم، وطهارتهم نبلهم، فنجد الصعلوك رغم خشونة طبعه، وقساوته إلاَّ أنَّهُ عفيف النّفس لا يقبل ولا يرضى الطغيان والتجبّر عن البشرية والإساءة لها.

فهذا بكر بن النطاح يصف عفّة حبيبته، ويأسه عن الطمع فيها مع ما تفعله هذه الصفة في نفسه من ترديده بين نوازع مختلفة، ولكنّهُ مع ذلِكَ قانع راضٍ عفيف فيقول:

فلا كبدي ولا لك رحمة ولا عنك اقصارا ولا فيك مطمع

فلا تسالیني في هواك زيادة فايسره يجزي وأدناه مقنع[2]

ومالك بن حريم يقول عن عفّته عن التطلّع إلى جارته أو إيذائها في عرضها ويجعل ذلِكَ إحدى صفات أربع عدّها في نفسه:

وثالثة إلاّ تقنع جـــــارتي إذا كان جار القوم فيهم مقذعا

وأبو خراش الهذلي يصف أخاه ورفيق صعلكته زهيراً حين قُتل فيقول:

قتلتم فتى لا يفجر الله عامداً ولا يحتويه جاره عام يمحل[3]

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ص 327، 328.

[2]- المرجع نفسه، ص 340.

[3]- المرجع نفسه، ص 340.

فعلى الرّغم من أنّ الصعاليك كانت لديهم رَغبات ومتطلبات وغرائز قوية في أنفسهم، إلاَّ أن صبرهم وقناعتهم كانت أقوى من ذلِكَ وكل هذا حفاظاً وخوفاً على عفّتهم وشرفهم وكرمتهم.

6- الاشتراكية:

يعتبر الاشتراك والتضامن بين الصعاليك عنواناً لحياتهم، وذلِكَ من أجل التعاون للسطو والإغارة على الأغنياء، لجلب قوت يومهم كما يشتركون أيضاً في تقسيم هذا القوت مع بعضهم ومع فقرائهم.

وعلى العموم فإنَّ الصعاليك خاصة في العصر الجاهلي، كانوا يتميزون بثلاث مزايا أصلية تكاد تضمهم جميعاً، هي الثورة على الظلم وطلب الحرية، والشجاعة في طلب الحق حتى تبلغ حدّ التهوّر، والكرم في مشاركة الأرامل، والفقراء والأيتام إلى حدّ إيثار الصعلوك الفقير أخاه الفقير بلقمة عيشه، تلك المشاركة التي تبدو لنا شكلاً من أشكال الاشتراكية في معناها القريب ولونها السّاذج البسيط.[1]

ولهذا فإنّ الاشتراكية لديهم كانت في كل كبيرة وصغيرة، وحتى في أبسط الأمور وكانت عبارة عن نمط اعتمدوه في حياتهم وأسلوب ارتضوه لأنفسهم.

لقد كان من العجيب أن يبرز في الصعاليك خلق اجتماعي كريم، هو الاشتراكية في خير صورة يدعو إليها تشريع، أو تهتدي إليها حضارة، ومصدر العجب أن الظروف الشخصية والاجتماعية التي أحاطت بالصعاليك لم تكن لتساعد على خُلق كهذا، فأمَّا الظروف الشخصية فلأنّهم كانوا فقراء، وظلُّوا طوال صعلكتهم فقراء، ومع فقرهم هذا كانت الاشتراكية طبعاً أصيلاً في حياتهم، وأمَّا الظروف الاجتماعية فنعني بها ظروف المجتمع الجاهلي حيث كان مجتمعاً طبقياً لا يبرق فيه أي وميض من معاني التعاون أو التكافل الاجتماعي، إلاَّ ما يتفضل به بعض المحسنين من الأغنياء على الفقراء.[2]

أي أنَّ الظروف الاجتماعية لمجتمع الصعاليك لم تهيء لظهور مثل هذا الخلق، ولكن نفسيتهم كانت أقوى من ذلك وهي حبّ التعاون والإيثار فيما بينهم، لأنهم تجرعوا طعم الجوع والفقر، فأصبحوا يحسُّون ببعضهم، وأصبحوا يتقاسمون ويشتركون فيما بينهم، حتى أصبح يضرب بهم المثل في التعاون.

---

[1]- إبراهيم محمود الصغير، "شعراء صعاليك لكنهم نبلاء"، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، العدد 597، جوان 2013، سوريا، السنة 52، ص 16.

[2]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 341.

لقد انفرد الشعراء الصعاليك عن غيرهم بعدة خصال وأخلاق اعتزّوا وافتخروا بها، وعلى رأسها الفخر والشجاعة وسرعة العدو، فهم كانوا يفتخرون بأسلحتهم من سيف وقوس ورمحٍ، كما تغنُّوا بسرعة عدوّهم ورأوها أفضل وسيلة للهروب في الحروب من أجل لقاء أخر، كما نجد فيهم صفة العنف والقساوة وخشونة الطباع، وهذا من الطبيعي لأن هذه الصفات كانت طاغية على البيئة الجاهلية، وفي مقابل ذلِكَ نجدهم أيضاً عطفاء رحماء شافقين على الضعيف، كما أنّ الكرم والجود كانا سائدان عندهم، بالإضافة إلى الفقر وحدّة الجوع، ناهيك عن صفة العفّة التي امتازوا بها في جميع جوانب حياتهم، وصبروا على أهوال أنفسهم من أجل صيانة شرفهم، والاشتراكية عندهم كانت في تقاسم كل ما لديهم فيما بينهم.

رابعا: أهم شعراء الصعاليك

ظهرت نخبة من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، نذكر على رأسها: الشنفرى، تأبط شراً، السليك بن السلكة.

1- الشنفرى:

أ- اسمه:

اختلف العلماء في اسم الشنفرى ولقبه، فقال بعضهم إنّ "الشنفرى" لقب له، واسمه عمر بن براق، أو ثابث بن أوس، أو ثابث بن جابر على ثلاث أقوال، وقال بعضهم إنّ "الشنفرى" هو اسمه الحقيقي لا لقبه، وذهب معظم العلماء إلى أنّ "الشنفرى" لقبه، وهو يعني الغليظ الشفتين، وأنَّ الشاعر لقب بذلك لعظم شفتيه.[1]

ب- نسبه:

اختلف الرّواة حول نسب "الشنفرى" ومولده وحياته ومن أهم ما ورد في هذا الشأن: يرى الأصفهاني «أنّ الشنفرى كان من الأوس بن حجر بن الأزد بن الغوث، أسرته بن شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن

[1]- ديوان الشنفرى، ص 09.

عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بن سلامان مفرج بن عوف بن مالك بن الأزد رجلا من فهم أحد بني شبابة، فقدته بن شبابة للشنفرى»[1]

أمّا المفضل الضبي نسبه إلى: «عمرو بن مالك وقيل ثابث بن الأوس وقيل ثابث بن جابر، والشنفرى لقب به الأواس بن الأزد بن الغوث، شاعر جاهلي قحطاني من لصوص العرب وفتاكها وعدّائيها، هو ابن أخت تأبط شرا، أُسِرَ وهو صغير»[2]

على الرّغم من اختلاف الرّواة حول نسب الشنفرى، إلاَّ أنّهم اتفقوا في أغلبهم على أنّ الشنفرى هو من بني أوس الأزدي وأنّهُ نشأ في بني سلامان من بني فهم.

ج- مولده ونشأته:

فإذا أردنا تحديد تاريخ ولادة الشنفرى فإنّنا لا نجد في مصادر ترجمته تاريخا محدّدا أو تقريبيا لتاريخ ولادته، ولا لمكانه، ولا تعيينا دقيقا لوالده أو لوالدته التي يغلب الظن أنّها كانت آمة سوداء، أمّا نشأته فقد اختلف الرواة فيها على ثلاثة أقوال، إذ قال بعضهم إنّهُ نشأ في قومه الأزد، ثمّ أغاضوه فهاجرهم، وقال آخرون إنَّ بني سُلامان أسروه صغيراً فنشأ فيهم يطلب النجاة، حتى هرب، ثمَّ انتقم منهم، وقالت فئة ثالثة إنّهُ ولد في بني سلامان، فنشأ فيهم، وهو لا يعلم أنّهُ من غيرهم حتى قال يوماً لابنة مولاه: «اغسلي رأسي يا أخيَّة» فغاضاها أن يدعوها بأخته فلطمته، فسأل عن سبب ذلِكَ، فأُخبر بالحقيقة، فأضمر الشر لبني سُلامان وحلف أن يقتل منهم مائة رجلاً، وفعل.[3]

د- مقتله:

نقل الرُّواة عن مقتل الشنفرى روايتين، وفيهما: أنّ بني سلامان هم الذين قتلوه بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا، وتقول الرواية الأولى إنّ بني سلامان قتلوه بمساعدة أسيد بن جابر أحد العدائين، وفي الثانية أنّهُ غزى بني سلامان وجعل يقتلهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا، ثمّ غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هارباً، فخرجوا على

[1]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر (د ط)، ج15، 1992، ص 7428.

[2]- أبو العباس المفضل بن محمد الظبي، ديوان المفضليات، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، مجلد1، ص 26.

[3]- ديوان الشنفرى، ص 10.

إثره (...) فقتلوه وصلبوه، فلبث عاما أو عامين مصلوباً، وعليه من نذرة رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائبا، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله، فدخل فيه عظم من رأسه فهاجت عليه فمات منها، فكان ذلِكَ الرجل هو تمام المئة.[1]

هـ- أدبه:

للشنفرى شعر في الفخر والحماسة وأشهره "لامية العرب" وهي قصيدة من "ثمانية وستين" بيتا، إنّها وإن كانت ثابتة النسبة إليه في مجملها أو في قسم كبير منها، فهي تنطق بلسان البادية الأولى وحياة التشرد والعنفوان، وقد شرحها الزمخشري، وترجمت إلى الفرنسية والألمانية والانجليزية[2]، كما له قصيدة ثانية اختارها المفضل الضبي في "المفضليات" فيها غزل وحماسة.[3]

2- تأبط شرا:

أ- تاريخه:

هو ثابث بن جابر بن سفيان بن عميشل بن عُدي، وقيل حرب بن تميم بن فهم بن عمرُو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار[4]، وقيل هو ثابت بن جابر الفهمي وفهم إحدى قبائل قيس عيلان المضريّة[5]، أمّهُ امرأة يقال لها أميمة من بني القين بطن من فهم، أبوه مات وهو صغيراً، يعدّ من أغربة العرب، لقّب بتأبط شرا ويذكر في سبب تسميته بهذا اللقب هي الرواية التي قيل فيها أنّ أمَّهُ سُئلت عنه، وكان قد وضع تحت إبطه سكين أو سيفاً أو جعبة سهماً، فقالت: لا أدري تأبط شرا وخرج، فخروجه بهذه الطريقة التي انخلعت من المبالاة لا تعبّر إلاَّ عن شر[6]، فلقّب بهذا اللقب.

وهو أحد الثلاثة الذين اشتهروا بأنّهم أقوى وأعدل من عرفهم زمانهم (عمرو بن براقة، الشنفرى، تأبط شرا)، وقد بلغ من اعتداده بنفسه وبقوته وعدوه، أنّهُ كان يغير وحده على رجليه، ولا يهاب أحدا، والذي عدوه

---

[1]- ديوان الشنفر، ص 12.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 172.

[3]- عمر فروح، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج1، 1971، ص 104.

[4]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص 7387.

[5]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 180.

[6]- ديوان تأبط شرا، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 07.

من أبطال البدو المعدودين، حتى أنّ قصص مغامراته وإقدامه تشبه الأساطير، وإن كان معظمها موضع اتفاق بين الروايات، ممّا يحمل على تصديقها، والذي عرف مع شدّة بأسه وصرامته، بالمهارة البارعة في التخلص من المآزق البالغة الخطورة، والتي لا يتاح الخلوص منها إلاّ لشخص وهب حظاً عظيماً من الذكاء وسرعة البديهة والعدو الخارق للعادة في قصص كثيرة لا تكاد تختلف عليها الرواية، وقد سجل معضمها في شعره، وكان مع ذلِكَ من مشاهير الشعراء المجيدين[1]، قُتِلَ تأبط شرا في بلاد هذيل ورمي به في غار، وذلِكَ في نحو 530 للميلاد.[2]

يعدُّ تأبط شرا من أقوى الصعاليك الذين همّشتهم قبائلهم بسبب كونهم من الأغربة، إلاّ أنّ شجاعته وصرامته، وسرعة عدوه، ورباطة جأشه جعلت منه صعلوكاً واثقاً من نفسه، لا يعرف الاستسلام ولا الخضوع.

ب– أدبه:

لتأبط شرا شعر مبثوث في كتب الأدب وأكثره في شرح حاله ووصف غاراته وتصوير حياته المتشرّدة، وفي شعره رجل الانفرادية الحازمة، والشخصية القوية، كما هو رجل الكرم والجود الذي يُؤْثِر أضيافه على نفسه، والحياة عنده هزؤ بالحياة، وتعلق بها: هي كرامة تُحفظ، ومال يبذل، وحرية تقدّس، ويد تبسط، وانطلاق من غير اكتفاء، في جو من الاطمئنان والحذر واللاوعي الحازم (...)، يتميّز أدبه بالخشونة في المعاني والمباني، وتصوير حسّي صادق ونفس مكسورة بألفاظ، وألفاظ تتراءى فيها العادات والنفسيات، وسذاجة فطرية حلوة، وجو صحراوي يضطرب فيه حيوان الصحراء ونباتها وغيثها وبرقها، وتصطحب فيه الشراسة والرّقة، وتدفق طبيعي على غير نظام (...)، وأدبه اعترافي قصصي ملحمي، هو أدب النفس والقلب وإن تسربل الأشواك والتحف بالرمال والنّبال.[3]

ج– مكانة تأبط شرا بين الشعراء:

يبدوا أن حياة هذا الصعلوك المملوءة بالغرائب والعجائب جعلت النّقاد يعزفون عن الاهتمام به، فصاحب الطبقات ابن سلام لم يذكره، وكذلك ابن جني في مؤلفاته، في حين أن المفضل قد اهتمّ بشعره حين افتتح بهم فضلياته، وعلى الرّغم من قلة ما وصلنا من شعر هذا الصعلوك، إلاَّ أنَّ هذا الشعر مصبوغ بطابع الصعلكة، حتى أنّنا نذهب مذهب القائل أنّه لا يوجد في ديوان الصعلكة شعراً أخلص لها كالشعر الذي نظمه

[1]– عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 113.

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 170.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 170، 171.

تأبط شرا، ولا شاعراً أنذر نفسه وفنّهُ لمسلكه ومعتقده، فثابت كان النموذج الأكثر بلاغة لحال الصعاليك الأنصع بياناً لمعيشته.

تميّز شعره بلغة عربية فصيحة لا تشوبها شائبة اللّحن أضف على ذلك استخدامه لمفردات وأساليب حفظت للغة العربية شواهدها.[1]

من أشعاره في ابن عمٍّ له يصفه بركوب الأهوال وبدل الأموال يقول:

وإني لمهدٍ من ثنائي فقاصدٌ به لابن عمّ الصّدقِ شمسُ بن مالك

أهرُّ في ندوةِ الحـــي عطفُ كما هزَّ عطفي بالهجان الأوراك

قليل التشكي للهـــم يصيبه كثيرُ النوى شتى الهوى والمسلك

يظل بهوماة ويمسي بغـيرها وحيدا ويعزوري ظهور المهالك[2]

على الرّغم من قلّة ما وصلنا من شعر هذا الصعلوك إلاَّ أن المتصفح لشعره يجدهُ صورة عاكسة لصعلكته بجميع نواحيها، بالإضافة إلى رصانة الألفاظ وقوة المعاني وحسن التشبيه وبلاغة العبارات.

3- السليك بن السلكة:

هو السليك بن عمرو، وقيل: بن عمير بن يثرب، أحد بني مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم[3]، وهو المشهور بالنسب إلى أمّه السلكة، وكان من أغربة العرب لأنّ أمّه كانت آمة سوداء فورث عنها لونها، وكان لذكره وشهرته ذوي في أنحاء الجزيرة كلّها (...) وقد ضربت به الأمثال التي بلغت من الشهرة في أنحاء الجزيرة حدّاً بارزاً (...) فالروايات تصفه بأنّه أحد العدّائين الأربعة في العرب وأحد الغربان الثلاثة وأحد خمسة يصفه الجاحظ بقوله: «فهؤلاء أُسُد الرجال، وأشدّهم قلوباً وأشجعهم بأساً، وبهم يضرب المثل حتى في الخيل المشهورة عند العرب كان يسهم فيها بفرسه المشهورة بالنحام»[4]، وقد شمل نشاطه في الصعلكة

---

[1]- ديوان تأبط شرا، ص 12.

[2]- بن عبد ربه (أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج2، ص 336.

[3]- الأصبهاني، الأغاني، ج15، ص 7217.

[4]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 114.

أرجاء واسعة، حتى أنّهُ كثيرا ما كان يغير في أنحاء اليمن مع أنّ موطنه في تميم باليمامة، وكثرة غاراته اشتهر بأنّهُ سليك المقانب، والمقانب جماعات الخيل، وقد استطاع بهذه المقوّمات التي اقترنت بشخصيته الفذّة في مجالها أن يرفع من خسيسته التي ورثها من سواد أمّه ورِقِّها، فبدل أن كان موضعه المرتقب بين العبيد، أصبح في موضع الهيبة، والتقدير، والإعجاب اللاّئي لم يحظ بهنّ في جيله سوى النفر المعدود، وكان من أبرز مواهبه قوة شجاعته التي جعلته من الشعراء البارزين المجيدين في عدّة مجالات واللّذين يتردّد شعرهم في سائر أنحاء شبه الجزيرة.[1]

خطّط الكثير لقتل السليك إلاّ أنّهُ استطاع بذكائه الهروب من الموت لعدّة مرّات، إلى أن جاء يوم أغار فيه على حي مالك بن ضبيعة فحاولوا قتله إلاَّ انّهُ دخل إلى أهل البيت وحمته امرأة، إلاَّ أنّ مقتله كان على يد أسد الخثعمي حينما استنجدت به فتاة أراد السليك الاعتداء عليها.[2]

ترك بعض القصائد التي لم يصلنا منها إلاَّ القليل ويمكن القول أن المقطوعات القليلة كانت تصوّر لنا الجانب الحياتي من شخصيته، ومن أشعاره عندما خرج مع جماعة للغزو فتركه بعضهم وبقي معه فتيان من بني مقاعس، ولما اقتربوا من بلاد غثعم ظلّت ناقة لرجل يقال له صرد، ما إن خرج يطلبها حتى أروه وهاجمهم السليك وقهرهم وأنقد صاحبه من الأسر، وساق إبلهم، وقد صوّر السليك ذلِكَ فقال:

بَكَى صَرْدٌ لمَّا رأى الحي أعرضتْ مهـــامه رمل دونهم وسُهوبُ

وخـــوفه رَيب الزمـــان وفقره بلاد عـــدوّ حاصروا جذوبُ

ونأيُ بعـــيد عن بلادِ مقاعس وإنّ مخـــاريق الأمور تريبُ

فقلت له لا تبكي عـــينك إنّمَا قضيته مـــا يقضي لها فتنوبُ

سيكفيك فقد الحي لحم مفرض وماء قدور في الجفان مشوبُ[3]

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 114.

[2]- عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ص ص 394، 395.

[3]- ديوان الشنفرى وليله السليك بن السلكة، وعمر بن براق، ص 07- 09.

رغم أن السليك كان رِقاً أسوداً عبداً، إلاَّ أنّهُ بتحدّيه وشجاعته وسرعة عدوه استطاع أن يرفع من قدره، لما نال نصيباً من الشهرة في زمانه، ناهيك على أنّ شعره نال حظاً وافراً من المعجبين به، لجزالة أسلوبه وصدق تجربته.

بالإضافة إلى هؤلاء الصعاليك الذين تمّ ذِكرهم، يوجد صعاليك آخرون نذكر من بينهم:

- مالك بن حريم الهمداني.
- ضخر الغي الهذلي.
- عمرو بن براقة الهمداني.
- الأعلم الهذلي.
- عمرو بن عجلان.
- حاجز بن عوف الأزدي.
- جحدر بن ضبيعة بن قيس.[1]
- أبو الطمحان القيني.
- قيس بن الحدادية.
- أبو خراش.
- عمرو ذو الكلب.
- أبو كبير الهذلي.[2]

من خلال ما ذُكِر عن هؤلاء الشعراء الثلاث (الشنفرى، تأبط شرا والسليك بن السلكة) يتّضح أنّهم من نفس الفصيلة، وهي مشاركتهم أمهاتهم في سوادهم، وهم من أغربة العرب، لدى كان سبب تصعلكهم سبباً واحداً وهو الطرد من طرف أبائهم وعدم الاعتراف بهم.

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 116- 121.

[2]- الأمين محمد عبد القادر، القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2008 ص 08- 11.

خامسا: خصائص شعر الصعاليك:

انفرد شعر الصعاليك بعدّة خصائص ومميزات جعلته يتميّز عن شعر غيره من شعراء الجاهلية والإسلام، تتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

1- زهد الصعاليك باصطناع المقدمات الطللية والبكاء والاستبكاء وغاية ما يصطنعه الصعلوك في التقديم هو مخاطبة امرأة مغيبة، وهذا لا ينفي وجود عدد ضئيل من قصائدهم استهل بالأطلال.

2- وضوح العبارة وذكاء الإشارة، وعمق المعنى ونباهة اللمحة.

3- جمال الصور الفنية التي تحيل المقطعات والقصائد مشاهد تنبض فيها الحياة فكأننا جزء من الصورة.

4- العناية بالحوار دون أن يترك لنا الصعلوك سانحة سماع الطرف الآخر من الحوار، وقد شاع الحوار مع المرأة المغيبة التي يخاطبها الصعلوك ويوبّخها ويعلي شأنه عليها.

5- لم يكتف الصعاليك برسم المشاهد الخارجية، بل التفتوا إلى مشاعرهم التي تعتمل في صدورهم فصوروها أدق تصوير فكأننا نسمع نبضات قلوبهم في الرهبة أو الرغبة وقد يشرك الصعلوك الطبيعة معه، فهي تفرح لفرحه وتكفهرّ وتبكي لمصائبه.

6- أغلب شعر الصعاليك متكئ على البحرين الطويل والبسيط وذلك لا يمنع من وجود قصائد ومقطوعات مكتوبة على الوافر أو سواه، أمّا القوافي فأكثرها الراء وتتلوها الدال .... وثمّة عناية مقصودة أو غير مقصودة بالموسيقى الداخلية ... فكأن إيقاعات شعر الصعاليك محاكاة لحياتهم ... بل إنّ الإيقاعات تسهم بشكل جزئي أو كلّي في تصوير حليل السيوف وصرخات الموت.[1]

7- نجد أن شعر الصعاليك ذاتي، ولكنّها ليست ذاتية اصطلاحية، كالتي يعرفها نقاد الأدب الغربي في الرومانتيكية التي تعتمد في مصدرها على الروحيات وفي كيانها على مشاعر الفرد وسبحاته نحو الطبيعة والخيالات ... لكن ذاتية الصعاليك شيء أخر، فهي ذاتية حيّة متحركة، ذاتية واقعية معقولة في آن واحد، وفي كلا الحالتين،

[1]- عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ص ص 397، 398.

فهي ذاتية متميزة محدّدة، لا تلتبس بغيرها ولا تخضع لمذهب بعينه من مذاهب النقد، لأنّ طابعها لا يشيع في أدب آخر غير أدب الصعاليك.[1]

8- حين ننظر في شعر الصعاليك الذي بين أيدينا من الزاوية التي تظهرنا على بنائه الخارجي، فأوّل ما يلفت نظرنا فيه أنّه شعر مقطوعات، ولسنا نعني بهذا انعدام القصيدة فيه، وإنّما نعني ذيوع المقطوعات أكثر من ذيوع القصيدة، وإذا استثنينا تائية الشنفرى، ولامية عمرو ذي الكلب الهذلي، ورائية بن الورد المشهورة، وفائية صخر الغي الهذلي، وقافية تأبط شرا، وبائية الأعلم، وميمية أبي خراش. فإنّنا نجد أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من المقطوعات التي يتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين البيتين والسبعة.[2]

9- الوحدة الموضوعية: فالناظر في شعر الصعاليك تلفت نظره لتلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده، بحيث يستطيع أن يضع لكل مقطوعات عنوانا خاصاً بها دالاً على موضوعها، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه.[3]

10- عدم الحرص على التصريع: من حيث البناء الخارجي لشعر الصعاليك وهي عدم الحرص على التصريع في مطالع نماذجه الفنية.[4]

11- القصصية: إذا قرّرنا أن شعر الصعاليك صورة صادقة كل الصدق من حياة أصحابه، يسجلون فيه كل ما يدور فيها، فإنّنا نصل إلى تقرير ظاهرة مترتبة على هذه الفكرة وهي ظاهرة "القصصية في شعر الصعاليك"، فشعر الصعاليك -في مجموعه- شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي.[5]

12- الواقعية: وذلك باتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر ومادة لموضوعاتهم، وبعدهم عن الإمعان في الخيال إمعاناً ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام بسحبه العالية وأبراجه العاجية ... فقد صوّر الشعراء الصعاليك في فنّهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل مظاهرها: الصحراء القاسية بشعابها وجبالها وأغوارها وصخورها ومياهها

---

[1]- عبد الحليم حفني، شعراء الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 376.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 259، 260.

[3]- المرجع نفسه، ص 264.

[4]- المرجع نفسه، ص 274.

[5]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 278.

وحرها وبدوها ولياليها المظلمة الرهيبة، وحيوانها الشارد في آفاقها ووحشها الرابض في أرجائها، وحشراتها المتوارية في جحورها والسارية فوق رمالها.[1]

التخلي عن المقدمات الطللية كان أحد الصفات البارزة في شعر الصعاليك، كما أنّ القارئ لشعرهم يلاحظ مباشرة قوة ارتباطه بشخصيتهم، ومدى تتبعه لأحداث حياتهم وتفاصيلها، فنظموا قصائدهم على البحور التي تتوافق ونفسيتهم، والتي كانت أغلبها عبارة عن مقطوعات شعرية ذات طابع قصصي طغت عليها الوحدة الموضوعية.

من خلال اطلاعنا على موضوع الصعلكة في الفصل الأوّل، توصّلنا إلى عدّة نتائج وهي:

أنَّ الصعلكة ظاهرة اجتماعية ظهرت في العصر الجاهلي، نتيجة لأسباب مختلفة ومتعدّدة على رأسها الفقر والخلع وغياب السلطة وضياع الحقوق، بالإضافة إلى قساوة الطبيعة في شبه الجزيرة العربية، نجد من بين هؤلاء الصعاليك: تأبط سرا، السليك بن السلكة، الشنفرى، عروة بن الورد، وغيرهم الكثير الذين تميّزوا بصفات وخصائص دون سواهم، مثل جودهم وكرمهم، سرعة عدوهم وكذلك تميّزوا بقوّتهم وشجاعتهم، ناهيك عن أهم ميزة ألا وهي الإغارة والسطو والنّهب والاحتيال، واعتبروها أساليب يسترزقون بها، أما عن خصائص شعرهم فكانت تتوافق وطبيعة عيشهم.

[1]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 282.

الفصل الثاني

صور المرأة في شعر عروة بن الورد

أولا: مكانة المرأة في الجاهلية

ثانيا: صور المرأة عند عروة بن الورد

أولا: حضور المرأة في الجاهلية:

اختلفت مكانة المرأة عبر الزمن من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر، فنجدها في بعض المجتمعات تحتل مكانة مرموقة لاعتبارها نصف المجتمع ونواته، في المقابل نجدها في مجتمعات أخرى مهمشة لا تملك أدنى حق يمتلكه الرجل. فإذا حصرنا مكانة المرأة في العصر الجاهلي نجدها نالت الحظ الوافر من الشهرة على خلاف الرجل، إذ نجد الشعر **الجاهلي** حافلا بذكرها، ولا يخلو شعر شاعر من التغني بها والحديث عن خصالها ومكارمها.

على غرار ذلك نجدها عند بعضهم مصدر عارهم وسبب خزيهم ودليل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ سورة النحل الآية [58- 59].

1- مكانة المرأة في الفكر الجاهلي:

شكلت المرأة في الوسط البيئي الصحراوي خير أنيس للرجل الذي لم تمنعه بداوته وغلظة طباعه من بذل العشق والمحبة لها والاستئناس بها[1]، إذ لم يكن دور المرأة في الجاهلية خافيا على أحد، حيث سادت وشرفت، وعلت مكانتها، فاعترف لها الرجل بالفضل والمنزلة الكريمة السامية، بل تودّد إليها أحيانا لينال[2] رضاها ويستميل قلبها، فمن أجلها يحارب ويستبسل في حربه، ولها يتوجّه بكريم الصفات، وعظيم الفعال[3]، فالمرأة في تصور الجاهليين مستودع الجمال كلّه وصورته ومثاله، وإذا كان لابدّ للجمال من صورة ومثال، فإنّ جسد المرأة هو مادة هذا الجمال وصورته.[4]

---

[1]- زهور دويكات، صورة المرأة في النثر الجاهلي، مقد لنيل درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013، ص 30.

[2]- سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 30.

[4]- حسن عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2007، ص 16.

أي أنّ المرأة في العصر الجاهلي كانت خير جليس للرجل، تسانده وتساعده وتقتسم معه متاعب الحياة وقساوة العيش، كما أنّها كانت رمز الجمال وأداة متعة للرجال، يصبّون فيها شهواتهم، وفي مقابل هذه المكانة البسيطة التي حظيت بها المرأة الجاهلية إلاّ أنّها تجرّعت مرارة العيش وعرفت شتى أنواع الإهانة والسخرية.

فقد لقيت صنوفا من الاضطهاد وأنواعاً من الخذلان والصّغار، فقد فقدت كرامتها، وضاعت حقيقتها الإنسانية كأنها مخلوق ثانوي لا يأبه أحد لوجوده، ولا يعتني بكينونته، فجاهلية العرب حطّت من شأن المرأة، عادّةً إيّاها متاعا ليس خيرا من الأمتعة الأخرى، ومن مظاهر هذا الانحطاط الذي أصاب أحوالها ما يلي:

- شيوع الزنا وكثرة البغايا واتخاذ خيمات خاصة بالفجور.

- كثرة القصائد والدواوين التي عكفت على تصوير جسد المرأة.

- يرث المرأة أبناؤها على بقية المال الذي تركه لهم أبوهم، ويجوز أن يتزوجها أحدهم.

- تسبى من قبيلتها المنهزمة، لتصير عبدا يفعل بها سيّدها ما شاء، يبيعها أو يقتلها أو يستذلها شرّ استذلال.[1]

فالملاحظ من هذا أنّ العرب في الجاهلية كانوا ينظرون إلى المرأة على أنّها متاعٌ من الأمتعة، التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ويتصرّفون فيها كما يشاؤون، وكانوا لا يورّثون المرأة ويرون أنّها ليست لها حق في الإرث كذلك ليس لها حق على زوجها، كما كان يُتاجر بها، تباع وتشترى في الأسواق كغيرها من السلع الأخرى.

2- وأْدُها:

يعتبر وأد البنات من الصفات القبيحة والبشعة التي ظهرت في المجتمعات الجاهلية، إذ يُعتبر هذا أرذل خُلق ارتكبه الجاهليون على الإطلاق، وذلك باعتبار البنت مصدر التعاسة والتشاؤم لأهلها.

من المعلوم أنّ العرب في جاهليتهم كان أكثرهم أهل بادية، تقوم حياتهم على الترحال، والتنقل بحثا عن الرزق والكلأ، وباعتبار أنّ معاشهم يقوم على الإبل والمواشي يتغذون بألبانها ويقتاتون بلحومها، ويكتسون بأوبارها، فهم يجوبون معظم بقاع الأرض بحثا عن الظروف الملائمة لعيش هؤلاء الأنعام، ومع ذلك كثيرا ما كانوا

[1]- عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، دار البشير، ط1، 1990، ص 7- 9.

يصابون بالقحط فيهلكون هم ومواشيهم جوعاً، فتدفعهم الحاجة إلى الطمع في الإغارة على من جاورهم فينهبون ويسرقون.[1]

ففاقتهم وحاجتهم جعلت منهم أهل ترحال، فما تركوا قطرا من أقطار الجزيرة إلاّ وذهبوا إليه واختبروا العيش فيه، كما جعلت منهم هذه الحاجة لصوصا، وقطاع طرق بالإضافة إلى سبيهم النساء.

وربّما أصاب أحدهم الفتاة العذراء أو المتزوجة، فيحسبها غنيمة كسبها فيختصها لنفسه دون حرجٍ ولا تورّع وربّما يأخذها غيره فيغتصبها، وتبقى تتنقل من ملك لآخر حتى يتيسّر لأهلها استرجاعها بعد أن أصابها ما أصاب من العارِ ما يبقى لذويها مدى الدهر.[2]

فالمرأة عندما تسبى أو تُؤخذ من أهلها غصبا عنها، أو تقوم هي بخيانة أهلها أو قبيلتها، فكل هذا يجلب العار والذل والإهانة لها ولأهلها ولعشيرتها.

ولهذين السببين – أي خوف العار وخوف الفقر– كان بعض العرب يؤدون بناتهم، لا يفعل ذلك عابد الوثن فقط، بل المتنصر أحيانا، كما نقل عن عذي بن ربيعة المعروف بالمهلهل زير النساء، لما ولدت له ابنته ليلى أمر بدفنها، ثم بدا له فاستحياها، وذكر عن قيس بن عاصم أنّه وأد بيده بضعة عشرة ابنة له فقال: وما رحمة منهنّ إلاّ واحدة، ولدتها أمّها وأنا في سفر، ودفعتها إلى أخوالها، فلما قدمت وسألت عن الحمل أُخبرتُ أنّها ولدت ميتا ....[3]

هذه العادة السيئة التي كانت منتشرة في المجتمعات الجاهلية صارت تورّث الكره من الآباء لبناتهم حتى أصبحوا يرون بأنّ ولادتهنّ مصيبة عليهم، وإذا بشّر أحدهم بالبنت أصابه الحزن والخوف من وجهة نظر عشيرته، فنظرا لهذا الخوف أصبحت الأم تخفيها عن أبيها وجيرانها الذين لا يملكون ذرّة رحمة في قلوبهم تجاه بناتهم.

فالتهنئة عندهم أصبحت تقال عند وفاة البنت، لا عند ولادتها وأقل ما كانوا يكتبونه في التهنئة بوفاتهم قولهم: "ستر العورات من الحسنات، ودفن البنات من المكرّمات، وتقديم الحُرْم من النعم (...)" على أنّ بعض العرب كانوا على عكس ما سبق يحبّون بناتهنّ ويبذلون في إكرامهنّ غاية جهدهم، دون أن يمنعهم ما كانوا يتلقونه

[1]– حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط)، 2012، ص 9.
[2]– المرجع نفسه، ص 9.
[3]– المرجع نفسه، ص 10.

منهنّ من الفضيحة وثقل المئونة عن توفيتهن حقّهن من العناية والتربية، بحيث كانوا يجزعون لأقل أدى يحل بهنّ، قال حطّان بن المعلّى:

لَوْلاَ بُنيَّـــاتٌ كَزُغْبِ الْقَطَـا رُدِدْنَ مِـــنْ بَعْـضٍ إلَى بَعْضِ
لَكـــانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإنمـــــا أوْلاَدُنَـــا بَيْنَنا أكْبَادُنَا تَمْـــشِي عَلى الأرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلى بَعْضِهِمْ لاَستَغْنَتْ عَيْني مِـــنَ الْغَمضِ»[1]

فعلى غرار ما كان يصيب الفتاة بعد ولادتها، فهناك آباء أحبّوا بناتهم واعتبروهن مصدر سعادتهم، يسعون جاهدين من أجل إيصالهن إلى مبتغاهن، فيتأذون لإيذائهن ويسعدون لسعادتهن، فلم يجعلوا فارقا بين الذكر والأنثى، بل سوّوا بينهم في الحقوق والواجبات وحق الرعاية والتربية.

3- حقوقها:

تمتّعت المرأة العربية عبر مرّ العصور بعدة حقوق، لابد لها أن تمتلكها.

ففي عصر ما قبل الإسلام، تباين الوضع الاجتماعي للمرأة العربية بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي المرأة إليها، فكانت هناك المرأة الحرة الشريفة التي ظفرت بالاحترام والطاعة، والمرأة الجارية الرقيقة المستعبدة التي لم تنل غير المهانة والامتهان، وفي المجمل كانت المرأة في ذلك العصر تتمتع بحرية واسعة لا تختلف كثيرا عن حرية الرجل، من حيث الخروج والاختلاط وممارسة الجنس والطلاق، ويعود وجود هذه الحرية إلى غياب السلطة في مفهومها القمعي وسيطرتها على سلوك الفرد ورغباته.[2]

اختلفت حقوق المرأة في العصر الجاهلي من امرأة لأخرى بحسب الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك، فهناك من أُعطيت حقوقها كاملة، وهناك من امتلكت بعضا منها فقط، وهناك من سلبت منها حقوقها بالكامل كالتي وئدت ولم تُمنح حق الحياة حتى.

[1]- حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، ص 12.

[2]- جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2004، ص ص 25، 26.

حقا لم يكن هناك نظام اجتماعي قائم، وإن كان على نحو ما، ولا قانون وضعي صارم ولا تعاليم دينية تحمي المرأة في الجاهلية من عدوان نفسها أولاً ثم من تسلط الرجل المفرط عليها آخرا، إلى أن جاء الإسلام فقنّن علاقتها بالرجل وجعلها سيدة في مالها، ورفع من منزلتها ... ولكن على الرغم من الحقوق المادية والمعنوية التي قرّرها الإسلام للمرأة، فإنّه كانت في الجاهلية أعراف وقيم تحفظ للمرأة العربية شيئا من حقوقها، وتحفظ لها شيئا من كرامتها، فكان الرجل يعاشرها بشيء من المعروف، والمودة، وربما الوفاء أيضا والدليل على ذلك ما قاله بعض الشعراء عن علاقة البعولة بحليلاتهم:

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْـــــعَى فَـــإِنِّي رَأَيْتُ النَّـــاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرَ

تِلكَ عِرسي غضبى تـــريدُ زِيالي أَ لِبَيـــــنٍ تُريـدُ أَم لِـدَلالِ

فإنْ تَسألوني بالنِّســـاء فإنَّني بصيرٌ بأدواءِ النِّساء طـبيبُ

تلك عِرْسَايَ تَنْطِقَان عَلَى عَمَ دٍ، لي اليَوْمِ قَوْلَ زورٍ وهترٍ»[1]

كانت هناك في العصر الجاهلي حقوق تمنح للمرأة، لكن مع بعض التقصيرات وعدم المساواة مع جميع النساء، إلى أن جاء الإسلام وحرر المرأة من العبودية والاضطهاد، التي كانت تمارس على بعض النساء وحدد للمرأة حقوقها وأعطاها قيمتها وأعلى من منزلتها وشأنها، وحرم انتهاك حقوقها والتعدي عليها وحفظها من كل أذى.

على غرار هؤلاء النساء اللواتي عرفن نوعا من التقصير في حقوقهن وتعرضن لنوع من الظلم في العصر الجاهلي، هناك أخريات تمتعن بكامل الحريات واستفدن من شتى الحقوق وفي الشعر دلائل كثيرة على ذلك فالمرأة وهي فتاة تعيش في بيت أبيها تلقى منه كل عطف، ومن حقها أن تنعم بحياته وخيره، وقد عاشت بنات الأشراف–خاصة– عيشة رغيدة ناعمة، كما تشاهد صورهن في الشعر فلبست الخز والحرير والديباج وقامت الإماء العديدات على خدمتهن، يقول الأعشى:

[1]– عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، دار البصائر، الجزائر، (د ط)، 2012، ص ص 327، 328.

تَرَى الخَزّ تَلْبَسُهُ ظَاهِراً، وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذاكَ الحَرِيرَا

إذَا قَلّدَتْ مِعْصَماً بَارَقَيْـ ـنِ، فُصّلَ بالدّرّ فَصْلاً نَضِيرَا

وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَـوْقَهُ، وياقوتةٌ خلتَ شيئاً نكيرا [1]

هناك بعض النساء في العصر الجاهلي تمتعن بخيرات أوليائهم كما تمتعن بكامل حقوقهن من اختيار شريك الحياة والزوج المناسب لهن، كما لهن الحق في الطلاق، إذا لم يعجبها زوجها، أو إذا رأت منه سوء المعاملة، كذلك لهن الحق في التملك، حق المال وحق الحماية، وحرية الرأي والتعبير وحق حماية الأعراض والحرمات.

4- واجباتها:

لما كانت المرأة في العصر الجاهلي تتمتع بحريتها وحقوقها، وجب عليها القيام بعدة واجبات. كانت هذه الواجبات تختلف من واحدة إلى أخرى، وذلك حسب مكانتها في المجتمع.

لم يكن العرب ليرهقوا نسائهم بالأعمال والواجبات، كما فعل غيرهم من الشعوب مثل اليونان والفرس، والعربية كانت تختلف حالتها باختلاف الأسرة التي تعيش فيها، فنساء الأسرة الراقية قلّ أن يقمن بالأعمال المنزلية وغيرها، إذ تكفيهن الإماء والخادمات مئونة الطبخ، وضرب الخيام، وجلب الماء، والغسل، وغير ذلك، أمّا في الطبقات الوسطى والفقيرة فالنساء يقمن بأعمالهن، بأيديهن، ومع هذا ففي جميع الأحوال كانت إدارة البيت منوطة بالمرأة، والسيادة فيها للرجل فعلى المرأة تنظيم بيتها، ورعاية أطفالها، وتهيئة الغذاء واللوازم لهم، وعليها أن تحافظ على كرامة البيت وسمعة صاحبه.[2]

بما أنّ المجتمع الجاهلي مجتمع طبقي غير متزن وغير متساوي في الحقوق، كذلك بالنسبة للواجبات التي يقمن بها النسوة، فهي تختلف من امرأة لأخرى، كلٌّ حسب الطبقة والأسرة التي تنتمي إليها، فتكثر واجبات المرأة ومهامها ويتضاعف تعبها كلّما انخفضت مكانتها.

[1]- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص 20.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 23، 24.

فكانت الولائد والإماء من الرقيق يُستخدمن في عامة حاجات المعيشة من رعي الإبل وخدمة المنزل وتعاطي المهن، وسائر ما تتطلبه لوازم الحياة في القفر، مما كانت تترفع عنه حرائر النساء[1] أو بأنفسهن من مزاولته، لما يترتب عليه عندهن من العار والغضاضة في الشرف، كما كانت الأمة هي التي تتولى خياطة الثياب وإصلاحها بنفسها أو تسعفها في ذلك مولاتها إذا كان المخيط لها أو لأسرتها أو لم تكن عريقة في الشرف.[2]

فالأمة هي أشقى نساء الجاهلية، وذلك لأنّها كانت تحتل أدنى مرتبة في المجتمع، لذلك نجدها تحمل على عاتقها مختلف الأعباء وأشقى المهام من أجل خدمة وتلبية حاجيات مولاتها وسيّدتها.

أمّا الأنثى في بيتها إذا ترعرعت، لم تكن تستغرق وقتا كبيرا في أشغال المنزل ومهمات تدبيره، فإن البيت كله كان في الغالب قائما في طراف أو خباء، يتولين فيه الردن، أي الغزل، وينسجن الصوف والوبر والشعر ونحوه، وقد يدبغن الأديم ويرملن الحصير، وكان كذلك بعض النساء يخرجن راعيات يقضين يومهن في القيام على الإبل أو الشياه، وبعضهن بائعات وأكثر ما كنّ يبعن العسل والسمن والتمر والعطر يطفن به الأحياء يستبدلنه أحيانا بالشحم، أو يلزمن به مكانهنّ فيأتيهنّ الرجال يتطيّبون به لديهنّ.[3]

فالبنت في بيت أهلها إذا اشتدّ عودها ترتب عليها من الواجبات ما تعين به أهلها، فتجتمع مع قريناتها من البنات ليخدمن البيت العام للعشيرة أو القبيلة، من غزل الصوف ودبغ الأديم وغيرها من المهام التي كلفن بها على غير بنات الأشراف اللواتي يتمتعن برخاء حياتهن وطيب معيشتهن ويقضين أوقاتهن في التسلية وطلب الحاجات، كما أن هناك نسوة أخريات اختلفت مهامهن من رعي المواشي والقيام على الإبل، حتى لم يتركن أدوار الرجال من تجارة، وبيع وشراء السلع في الأحياء والطرقات.

اختلفت وتعدّدت واجبات المرأة في الجاهلية وشملت مختلف مجالات حياتها، فتوزعت الأدوار عليها كل حسب وضعها المادي وواقعها المعيشي أو الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، كما هو الحال بالنسبة للحقوق التي أخذتها، فهناك من هي وقعت عليها من الواجبات ما لم يطقه جسدها ولم تحتمله نفسها، وهي المرأة الأمة أو العبدة التي تنتمي إلى طبقة الرقيق في المقابل لم تمتلك أدنى حقوقها، هناك نوع آخر من النسوة يقمن بالواجبات المنزلية من طبخ وتربية الأولاد وبيع وشراء والقيام بخدمة أزواجهن وطاعتهن وهذا النوع من النسوة ينتمين إلى طبقة

[1]- حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، ص 14.
[2]- المرجع نفسه، ص ص 13، 14.
[3]- المرجع نفسه، ص 12، 13.

الأحرار، أما النساء اللواتي هن من طبقة الأشراف فواجباتهن قليلة ومهامهن سهلة فنجدهن سيدات على خادماتهن، يتمتعن بكل حقوقهن على حساب واجباتهن المتمثلة في إعطاء بعض الأوامر والنواهي.

وصف الديوان:

اسم الديوان: ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك

تحقيق: أسماء أبو بكر محمّد.

الناشر: محمد علي بيضون.

دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

سنة النشر: 1418هـ الموافق لـ 1998م.

عدد صفحات الكتاب: 103 ص.

حالة الفهرست: غير مفهرس.

عدد المجلدات: مجلد واحد فقط.

محتويات الكتاب: بدأت أسماء أبو بكر محمد هذا الديوان بإهداء ثم تلته تؤطئة، بعدها نجدها قسمته إلى قسمين:

القسم الأول بعنوان: دراسات وإيضاحات تناولت فيه العناوين التالية:

- أمير الصعاليك رحلة حياة.
- عروة بن الورد في تراثنا الأدبي.
- حول الديوان وخطة درسه وتحقيقه.
- في العصر الجاهلي عاش عروة بن الورد [إطلالة، ورؤية].
- حول الصعلكة والصعاليك دراسة أدبية.

أمّا القسم الثاني فجاء بعنوان ديوان عروة بن الورد شرح وتصحيح وتحقيق، تناولت فيه عدّة قصائد كانت عناوينها كالتالي:

- أكلكم مختار؟

- وكان في قيس.

- بين أسماء وليلى.

- سؤال إلى الصعلوك.

- ستشبع أو تموت !

- يا أهل الكنيف .. !

- دعوة لامتهان مالك.

- قالت تماضر.

- إسأل بني عيلان !

- إذا أردت المجد.

- الثراء والفعال.

- ما الدهر؟

- أنا وأنتَ.

- ديار سلمى.

- الحنين إلى سلمى.

- يا ابنة منذر !

- وفي الرّحل آية !!

- وصبحنا عامراً ..

- وأخذت معالقها.

- ورحلنا من الأجبال.

- إذا المرء لم يطلب معاشا !

- سلي الطارق.

- دعيني للغنى...

- أحب وأنهق.

- يا ابن الورد.

- أقصر من الغزو.

- فراش الضعيف.

- سيّد يعرفونه.

- أمّي تُرَيْعَة.

- أرى أمراً فضيعاً.

- أم حسّان.

- رهينة.

- عودة إلى أصحاب الكنيف.

- لبالب تحت السخال.

- قيس يتمنّى غربتي.

- الدليل.

- دعيني أطوف.

- خلق الرجال.

- تبغى عداءً.

وفي الأخير ذكرت بعض أسانيد الدراسة وختمته بمحتويات الكتاب.

ثانيا: صور المرأة عند عروة بن الورد

المرأة هي سند الرجل ورفيقه في الحياة، وهي التي تقوم بخدمته ورعايته والاهتمام به، وهي السبب في تغيير نبضات قلبه، وذلك بسبب مشاعر وعواطف المودّة والحب، هذا ما جعل الكثير من الشعراء يتغنّون بها وبمكارمها وصفاتها ومزاياها، فهي تعتبر مصدر إلهامهم ومنبع التعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم فهذه الأخيرة امتحنت العديد من الأدوار، فقد كانت السيدة الأم التي تحن على أولادها وتعمل جاهدة لتحقيق مطالبهم، كما كانت الفتاة العاشقة والمتيمة والمغرومة التي استمالت الكثير من قلوب العشاق والمغرومين حتى قتلتهم نار الشوق ولهب المحبّة، وكانت الزوجة المطيعة لأوامر زوجها والمحافظة على بيتها والصائنة لسره.

وكان عروة بن الورد أحد هؤلاء الشعراء الذين وظفوا الأنثى في شعرهم فكان لها الحظ الوافر في كتاباته، هذا ما سنقوم باستخراجه من ديوانه، كما سنسلط الضوء على مكانة الزوجة والأم في شعره، وكيف كانت رؤيته لهؤلاء النسوة وكيف وظفهن في شعره وسنرى دور الزوجة في حياته، ومدى حبّه الشديد لأمّه التي ولدته ورعته.

1- الأم عند عروة بن الورد:

كان عروة بن الورد منذ نشأته يواجه حقيقة مرة، والتي تتمثل في كون أبيه تتشاءم منه قبيلته، وأمه من قبيلة نهد التي كان شرفها منحطا عن القبائل الأخرى، وقد ولّدت هذه الحقيقة في نفسية عروة نوعا من التشاؤم لما

كان يتعرض له من ظلم القبيلة وأصحابها، حيث كانوا يستهزؤون بنسب أمه ويعيرونه بأن أمه غريبة كما وصفوها بالتُريعة، فنجد بذلك عروة من شدّة غضبه نظم قصائد تحدث فيها عن استفزاز قبيلته له، ومذى أثر ذلك في نفسيته، فنجده يقول في قصيدته المعنونة بـ:"وفي الرّحل آية":

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّر؟[1]

من خلال هذا البيت يتضح أن عروة تعرض لنوع من الإهانة، وهذا ليس جديداً عليه فحياته كلها تعب ومعاناة، كيف لا وقومه نبذوه بسبب شرف أمه، فكل يوم يدق سمعه ما رذل من الكلام عنها، فمن بين الصفات التي كانت توجه إليها أنها "غريبة"؛ أي أنها من أغربة العرب الذين لا ينتمون إلى قبيلتهم، ويرون أن عروة ابن غريبة لا مكانة له بينهم، رغم هذا كله نجد عروة لم يستسلم لذلك ولم يحط من قيمته، فنجده يصف نفسه بالكريم الماجد الذي لا يستطيع أحد أن يعيّره، لكونه من أسياد القوم ومن عائلة غنية وله أعمامه وأخواله وأنسابه، كما أنّه كريم لا يماثله أحد في سخائه وكرمه، فنجده وظف أسلوب الاستفهام في الشطر الثاني من البيت لا لغرض الإجابة، ولكن لنفيه أن لرجل مثله التجرؤ على إهانته.

فنفسيته القلقة المضطربة وانفعاله وضجره من قبيلته جعلته يوظّف أسلوب الاستفهام الذي ينفي من خلاله جميع الصفات التي لا تليق به ويرفع من مكانته ويذكّر بصفاته الحميدة ويفتخر بنفسه.

كذلك في إحدى مقطوعاته الشعرية المعنونة بـ: "أمي تريعة"يقول:

أَعَيَّرتُموني أَنَّ أُمّـــــي تَريعَةٌ وَهَل يُنجِبَن في القَــومِ غَيرُ التَرائِعِ

وَما طالِبُ الأَوتارِ إِلّا اِبنُ حُرَّةٍ طَويلُ نَجادِ السَيفِ عاري الأَشاجِعِ[2]

ففي هذه الأبيات نجد أن قبيلة عروة لم تكتف بوصف أمه بالغريبة بل أضافوا لها صفة أخرى أقبح من الصفة الأولى وأشد وقعا في نفسيته وهي صفة "التُريعة" والتي يقصد بها "المسرعة إلى الشر"[3]، فقبيلته أهانته وعيّرته بأن أمه شريرة، فأجابهم بقوله: وهل ينجبن في القوم إلا الترائع؟ وهو أسلوب إنشائي غير طلبي نوعه

[1]- ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، ص 71.

[2]- المصدر نفسه، ص 85.

[3]- المصدر نفسه، ص 85.

الاستفهام وغرضه النفي، وتقدير الجواب (لا ينجبن في القوم إلا الترائع)، ثم ذهب في البيت الثاني يفتخر بكونه شاعرا في قوله: (طالب الأوتار)، وأن أمه حرّة ليست أمة كما افتخر بشجاعته وقوته وإقدامه.

ونجده في البيتين الثامن والتاسع من قصيدة "عودة إلى أصحاب الكنيف" يتحدث عن حنان الأم وطيبتها وعن مكانتها التي لا تعوض بثمن فيقول:

فإني وإياكم كذي الأم أرهنت له مـــاء عينيها تفدي وتحمل

فلمـــا ترجـــت نفعـــه وشبابه أتت دونها أخرى جديد تكحل[1]

فهذان البيتان يذكر فيهما فضل الأمّ على ابنها، فهي تتعب تشقى وتسهر لتقدّم له أعز وأغلى ما تملك، حتى عيناها أهون عليها أن تقدّمهما فداءً له إلى أن يكبر ويشتدّ عوده لتأتي زوجته والتي شبهها بالحديد لقساوتها، فهو هنا يخفي ألمه وما حل به، فنستحضر هنا قصة جرت له حين كان مريضا، وكان الناس يسألون عنه وعن حاله، فكانت الأم تجيبهم بأنه بخير وأنه في تحسن ملحوظ وتطمئنهم عن حالته رغم اشتداد مرضه أما زوجته فكانت عندما تُسأل عن حالته تجيب بأنه طريح الفراش ينتظر أجله، دون مراعاة لمشاعره وأحاسيسه، فهذه صورة جميلة شبهها بما جرى له مع أصحاب الكنيف حين كان يطعمهم ويؤثرهم على نفسه، ولما امتلأت بطونهم وكفت حاجتهم جازوه بعكس ذلك، فبدل شكرهم إياه وثنائهم عليه وعلى فضله أنكروا خيره وثاروا عليه.

نظم عروة هذه القصائد التي تحدث فيها عن أمه على أوزان بحر الطويل، فالطويل بحر خضم يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ويتسع لشتى الأغراض والتشابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الأخبار، فالحالة الشعورية التي عاشها الشاعر استدعت واستوجبت استعمال هذه الأوزان التي تتلاءم وحالته الحزينة العميقة المتفتتة، فتفعيلات الطويل تتوافق وحالة التشتت والحزن، أما القافية التي استعملها في هذه الأبيات هي القافية المطلقة التي يكون رويها حرفا متحرك، والتي وجد فيها متنفسا لما يقوله حتى يعبر ويخرج ما بداخله من أحاسيس ومشاعر، فحركة حرف الروي ساعدته على أخذ نفس بعدما كان هذا النفس منحبسا بداخله.

لقد منح عروة بن الورد أمه مكانا عاليا في القلب، وقدرا كبيراً من الحب، كما منحها الكثير من الاحترام والتقدير وخصص لها جزءاً من قصائده.

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 11.

ورغم أنّ قبيلته كانت بين الوقت والحين تبتدع لها لقبا فضيعاً يعيّرون عروة به، إلاّ أنه كان دائما يرد عليهم بكل فخر وثقة، ويدافع عنها بكل جرأة وقوة، كيف لا وهي مصدر الحنان والعطاء والتضحية، وراح يبرهن لقبيلته أنّ أمّه حرّة شريفة غير مسرعة للشر، وكما ذكرنا في ما سبق أنّ أم عروة من قبيلة أقل شأنا من قبيلة عبس، وأن ذلك كان يؤثر في نفسيته، إلاّ أنه لم يظهر ذلك بل أخفاه ودسّه في قلبه وانفجر في الدفاع عنها.

ورأى عروة بن الورد أن الأم تكون ساخية لينة على أولادها وتقدّمهم على نفسها، تجوع من أجل أن يشبعوا وتعرى من أجل أن يلبسوا حتى يكبروا ويستقيم طولهم، وتشتد قوتهم وهيبتهم فتأتي الزوجة وتبعد الابن عن أمه وتحتل مكانها، إلاّ أن هذه الزوجة مهما كانت رقيقة المشاعر وطيبة القلب، إلاّ أنها لا تكون بمثابة الأم، فهي دائما ما نجد فيها نوعا من الخشونة والصلابة.

على العموم فعلاقة عروة بأمه كانت وطيدة ومتينة، فلم يسمح لأحد أيا كان بالإطاحة بها وبقدرها وشأنها وسعى جاهداً من أجل الدفاع عنها وعن شرفها ونسبها.

2- الزوجة عند عروة بن لورد:

لقد كان لعروة بن الورد عدة زوجات وأشهر هؤلاء الزوجات ذِكرا في الكتب هي سلمى والتي كان يناديها "بأم وهب" أو "أم حسان" وكن يلمنه دائما على المغامرة والمخاطرة بحياته من أجل إعانة الفقراء والعيال، ولعل هذا هو السبب المباشر في عدم هناء عروة في حياته العائلية، لكنه لا يستمع إلى لومهن الحاد على أنه كان أكثر الرجال أدبا مع زوجاته، ومن أجودهم يدا في معاملتهن بالحسنى، يحميهن من كل سوء أو شر، وكانت زوجته سلمى امرأة كنانية، أحبها حبا جما وكان جدّ متعلق بها، وكانت هي تبادله نفس المحبة، هذه الأخيرة أسرها في إحدى غزواته، وتزوجها عن رضى كامل منها.[1]

كانت هذه الزوجة دائما تلومه على خروجه للإغارة وذلك لأنها كانت تخاف عليه من مكر الأعداء والاحتيال عليه، فنجد عروة نظم قصيدة بعنوان "يا ابنة منذر" يصف فيها الحوار الذي دار بينهما فقال فيها:

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 11.

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يـــا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، وإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي

ذَرِيتي ونَفسي أُمَّ حَسَّـــانَ، إنني بهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِكَ البَيْعَ، مُشْتَرِي

أحاديثُ تَبْقَى والفَتى غيرُ خالدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صُـــــيَّرِ

تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكِنَاسِ وتَشْتَكِي إلى كلِّ معـــــروفٍ تراهُ ومُنْكَرِ[1]

افتتح عروة أبياته بفعل الأمر "أقلي" وهذا دليل على شدّة ضجره وغضبه من سلمى، التي كانت تمنعه من الغزو، ثم يأمرها في الشطر الثاني من البيت أن تنام لتستريح أعصابها وإن لم تستطع النوم فلْتسهر، ولكن دون أن تبث فيه سم اللوم.

نجده كذلك استعمل أسلوب النداء في البيت الأول فقال: "يا ابنة منذر" وهذه العبارة تدل على بعد نفسيته عنها وغضبه عليها، إلاّ أنه أدرك في البيت الثاني أنه كان قاسيا عليها، وهي الحبيبة والزوجة والأنيسة وهي كل شيء بالنسبة له فأعاد نداءها بأم حسان وهو اسم أحد أبنائه، ثم راح يقنعها بأن هاته الإغارة التي يقوم بها من أجل أن يبقى اسمه خالدا، فالفتى يموت وتخلد أعماله، فيقول لها: (أحاديث تبقى والفتى غير خالدٍ)، وراح يضرب لها المثل بالهامة وهي طير صغير من طيور الليل يألف المقابر، ويصيح من شدّة الظمأ يريد الإغاثة، والهامة تأتي فوق قبر الفتى الذي لم يردَّ ثأره ولم ينتقم من عدوّه، وهذه الخرافة كان يؤمن بها الجاهليون.

وفي مقطوعة أخرى من شعره بعنوان "دعيتني للغنى" قام فيها عروة بالمقارنة بين الغنى والفقر، فقال فيها مخاطبا زوجته:

دعِيني للغنى أسعى ، فإنّي رأيتُ النـــاسَ شرُّهمُ الفقيرُ

وأبعدُهم وأهونُهم عـليهم وإن أمسى له حسب وخير

ويُقصِيهِ النّـــدَى، وتَزْدرِيهِ حَلِيلَته، وَيَنْـــــهَرُهُ الصَّغيرُ

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 67.

وَيَلْقَى ذُو الغِّنَى وَلَهُ جَلاَلُ يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ

قليلٌ ذنبُهُ، والذنبُ جـــمٌّ ولَكِنَّ للغِنى ربٌّ غفورُ[1]

افتتح عروة هذه الأبيات بفعل أمر (دعيني) كما فعل في قصيدة "يا ابنة منذر" حيث قال: (أقلّي عليَّ اللوم)، وهذا دليل على كثرة عتاب الزوجة له ومنعه من المجازفة بحياته من أجل هؤلاء المحتاجين وإصراره الدائم وإلحاحه على فعل الخروج من أجل إبعاد شبح الفقر عن الضعفاء، فهو يقنع زوجته ويوضح لها الأمر، بأن الغنى أحسن من الفقر، فهو يرى أن الفقير من أشر الناس وأبعدهم عن لين الحياة وهو دائما منبوذ من طرف الزوجة ومهمش ومقصى من مختلف فئات المجتمع، رغم حسن أخلاقه وطيب مكارمه ورجاحة عقله، أما الغنى فيحبذه جميع الناس، ويرفعون من شأنه وقيمته رغم أخطائه وسوء أخلاقه فهو دائما كبير في أعينهم لأن ماله هو الذي يشفع له ويغفر ذنبه.

فعروة استعمل في تصويره لمكانه الفقير في المجتمع صيغ المبالغة تتمثل في قوله: (أبعدهم، أهونهم، شرّهم) للدلالة على مدى قبح وبشاعة الفقر، كما استعمل أسلوب المقارنة ليوضح مدى بعد منزلة الغني عن منزلة الفقير.

نظم عروة هذه الأبيات على بحر الوافر الذي يعتبر ألين البحور الشعرية، يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته، سمي هذا البحر وافرا لوفرة أوتاده لذا نجد عروة نظم شعره هذا على أوزان الوافر لما يتوافق وحالته النفسية.

فزوجة عروة دائما ما نجدها لا تكف عن لومه وعتابه، فقصيدة "أم حسان" إحدى هذه القصائد والتي يقول فيها:

أرَى أُمّ حـــسَّانَ، الغَـــدَاةَ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ ، والنَّفسُ أَخْوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَى: لَـــو أقَمْـــتَ لسرّنَا ولَمْ تَدرِ أنِّي للـــمُقامِ أُطـــوّفُ

لَعلَّ الذي خـــوّفتِنا مـــن أمَـــامِنَا يصادفُه، فِي أهـــلِهِ، المتخلِّفُ

[1]- ديوان عروة بن الورد، ض 79.

إِذَا قُلتُ: قَد جَاءَ الغِنَى، حَالَ دُونَه أبو صِبيةٍ، يَشكُو المفَاقِرَ، أَعجَفُ[1]

كذلك قصيدة "أقصر من الغزو" التي يقول فيها:

تقولُ: ألا أقصرْ من الغزو، واشتكى لها القولَ، طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ

سأُغنيكِ عن رَجـــعِ المَلام بمُزْمِعٍ من الأمر، لا يعشو عليهِ المطاوع

لبوس ثياب الموت حتى إلى الذي يُوائـــمُ إمّـا سائمٌ، أو مُصـارع[2]

إِذَا أَرْهَنْتَهُ المَـــــــينَ شِدّةُ ماجِدٍ فوَدّعهَا القَــومُ الأَلَى، ثُمَّ مَصَعُوا

ويدعُونَني كهلاً، وقد عشتُ حِقبة وهنّ، عن الأزواجِ نحوي، نوازع[3]

ففي هذه الأبيات نرى استمرار الزوجة وإلحاحها على منع عروة من هذا الفعل الذي يعرّض حياته للخطر، ولكن كلمته كانت هي الأقوى، وهذا يدلّ على أنّ الرّجل الجاهلي إذا أصرّ على فعل شيء فلا تردّه قوة عن ذلك، فعروة يعتبر فعل الخروج هذا من أجل إغاثة العيال فعلا مقدّس لابدّ منه، حتى زوجته التي يحبّها ويوقرها خالفها من أجل هذا الفعل.

فعروة دائما يحترم زوجته ويلبّي طلبها ومبتغاها، ويؤثرها على نفسه، ويسعى جاهداً لإرضائها وإسعادها، لكن فيما يرى أنّه صواب وأنّها محقّة في ذلك، فعروة يحتكم إلى عقله وبصيرته في اتخاذ الأمور والقرارات، وليس في نفسيته وأهواء قلبه ومثال ذلك ما سلف ذكره في موقفه مع زوجته التي قرّرت الرجوع إلى أهلها والتخلي عنه، رغم حبّه الشديد لها إلاّ أنّه قام بتلبية طلبها، وضحّى بحبّه من أجل رضاها، أمّا في موقفه الثاني الذي تمثّل في منع زوجته له عن الخروج للإغارة وقف معارضاً لها، فالزوجة عند عروة واجبٌ احترامها والاستماع لها، لكن لا يجعلها صاحبة القرار، فالمرأة دائما تكون أقل درجة من الرجل.

---

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 87.

[2]- المصدر نفسه، ص 82.

[3]- المصدر نفسه، ص 82.

وفي موضع بعيد عن جوّ اللّوم والعتاب الذي يتلقاه دوما من زوجته، نجده ذاك العاشق المشتاق لزوجته التي رحلت عنه ولم تترك له سوى لهيب الحب ونار العشق وتلك اللحظات السعيدة التي لا يستطيع نسيانها، فراح يتغنّى ويتغزّل بها وبمفاتنها وبلياليه معها، فهي تلك الزهرة التي لم تترك له سوى آثار الشوك الدّامي في قلبه، فنجد ذلك جليا في قصيدة "وفي الرَّحل آية" التي يقول فيها:

عَفَت بَعدَنا مِن أُمِّ حَسّانَ غَضوَرُ وَفي الرَحــلِ مِنها آيَةٌ لا تَغَيَّرُ

وَبِالغُرِّ وَالغَـــرّاءِ مِنـــها مَنازِلٌ وَحَولَ الصَفا مِن أَهلِها مُتَدَوَّرُ

لَيالِيَنـــا إِذ جيبُـها لَكَ ناصِحٌ وَإِذ ريحُـــها مِسكٌ زَكِيٌّ وَعَنبَرُ

أَلَم تَعلَـــمي يا أُمَّ حَسّانَ أَنَّنا خَليطاً زَيالٍ لَيسَ عَن ذاكَ مَقصَرُ

وَأَنَّ المَـــنايا ثَغـــرُ كُلِّ ثَنِيَّةٍ فَهَل ذاكَ عَمّا يَبتَغي القَومُ مُحصِرُ؟[1]

فمناسبة هذه الأبيات جاءت بعد فراق سلمى لعروة وتخليها عنه، فهو لا يمكنه نسيانها ونسيان تلك الأيام التي قضاها بجوارها، فنجد الحنين والاشتياق لها بارزا في وصفه لصفاتها وذكر مفاتنها، حيث شبّه ريحها بطيب رائحة المسك والعنبر، فهو يتكلّم مع نفسه ويتصوّرها على أنّها سلمى في قوله: "ألا تعلمي". لأنّه غير متوقع حياته بدونها، حيث كان يرى أنّه لا يفرّقها عنه سوى الموت.

غياب المحبوبة والزّوجة سلمى، شكّل في نفس عروة فراغا كبيرا ازداد يوما بعد يوم، فحاول سدّ هذه الثغرة فلم يجد سوى اللّجوء لكتابة أبيات يتحدّث فيها عن حنينه واشتياقه لها، فقد كانت قصيدة "الحنين إلى سلمى" صورة لما بداخله وما يختلج نفسه من مشاعر وعواطف نحوها، يقول في هذه القصيدة:

تحن إلى سلمـــى بحر بلادها وأنـــت عليها بالملا كنت أقدر

تحِلّ بوادٍ، من كَراءٍ، مَـــضَلّةٍ تحاولُ سلمى أن أهابَ وأحصَرا

وكيف تُرَجّيها، وقد حِيلَ دونها وقد جاورت حيّاً بتَيـــمن مُنـكرا

تبغّانيَ الأعْداءُ إمّـــا إلى دَمٍ وإما عراض الساعدين مصدرا[2]

---

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 71.

[2]- المصدر نفسه، ص 65.

فعنوان القصيدة يوحي بأنّ نفسية عروة جدّ مشتاقة لزوجته، كذلك كلمة "بحر" في البيت الأول تدل على مدى حنينه إليها فعبّر عن ذلك بهذه الكلمة التي تدل على الشساعة والكثرة، فراح يتذكر تلك الأيام التي تركته فيها، وتهديد أهلها له بالقتل، فوجد نفسه مخيّرا بين أمرين، إما القتل من طرف أعدائه وإمّا مواجهته تضاريس الصحراء الوعرة ووحوشها.

فعروة فقد أمل إعادة سلمى لأنه يرى بأنّها ما بيدها حيلة وأنّها لم تستطع فعل شيء لكون أهلها حائلا بينه وبينها.

ثم في آخر القصيدة نجده انتقل إلى موضوع آخر هو تذكيرها بتلك الأيام التي ضحّى فيها بنفسه من أجلها، ويلومها على نكران جميله معها، يقول فيها:

لعلّكِ، يوماً، أن تُسِرّي نَــدامَةً علي بما جشمــتني يوم غضورا

فغربت إن لم تخبريهم فلا أرى لي اليوم أدنى منك علماً وأخبرا

فعبدك، عمرَ الله، هل تَعــلمين كريماً، إذا أسوَدّ الأنامِلُ، أزهرا

صبوراً على رزء الموالي وحافظاً لعرضي حتى يؤكل النبت أخضرا

أقب ومخماض الشتــــاء مرزأ إذا اغبـــر أولاد الأذلة أسفرا[1]

ففراق سلمى وتخلّيها عنه شكّل في قلبه حقداً وضغينة لها، فراح يذكّرها بأنه سيأتي يوم لا محالة وستندم على فعلتها هذه، وأنّه سوف يصبر على هذا الابتلاء لعلّه يأتي يوم يعود عليه بالخير ويشفي غليله.

تناول عروة المرأة من موضعين:

الموضع الأول: تناول فيه اللوم والعتاب الدّائم والمستمر، الذي لا يكاد يخلو يومه منه من قبل زوجته التي تحاول منعه من المخاطرة بنفسه، والتي يعتبرها هو تضحية من أجل إسعادها وتوفير حياة أحسن لها، لأنّه يرى فيها مصدر سعادته وأنّه واجب عليه رعايتها وصونها.

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص 66.

الموضع الثاني: تناول فيه حنينه وشوقه إليها وما تركه فراقها في نفسه من ألمٍ وتعب، فهذا الألم جعله ينفجر في وصف محاسنها والتغزّل بها، كما راح يلومها ويعاتبها لأنها تركته وحيدا يناجي ربّه أن يجعل له مخرجاً لضيقه هذا.

العصر الجاهلي هو العصر الذي عاش فيه أمير الصعاليك عروة بن الورد، وفي هذا العصر عرفت المرأة شتى أنواع المعاملات من قبل الرّجل، سواء كان هذا الرجل الأب أو هو الزوج أو رجالا آخرين من الأهل والعشيرة، فنجد أنّ هناك من ينظر إلى المرأة على أنّها مصدر العار والتعاسة لذا قاموا بوأدها من أجل ذلك، وهناك من يرى بأنّ المرأة سلعة تباع وتشترى، فيهينها ويجعل منها أمة وعبدة ليس لها أدنى حق في الحياة، بل عليها من الواجبات ما لم تطقه البهائم، وعلى خلاف ذلك، هناك من يرى بأنّها سند الرّجل ونصفه، ولها من الحقوق ما عليها من الواجبات، إلاّ أنّ عروة كان نوعاً آخراً في تعامله مع المرأة، فعروة بقدر ما كان أجود الناس وأكرمهم على الفقراء وأرحمهم بالضعفاء كان أحسن تعاملاً مع المرأة سواءً كانت هذه المرأة أمّه أو زوجته أو امرأة أخرى ودليل ذلك ما وجدناه في شعره الذي جمع بعده في ديوان بعنوان "ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك"، والذي لمسنا فيه كيفية تعامله مع شتى أصناف النساء، بدءاً بأمّه التي كان يحبّها ويدافع عنها دائماً محاولاً تحسين صورتها وسمعتها المشوّهة والمنبوذة من طرف قبيلته، وأنّها سوف تبقى أمّه رغم كل شيء.

بالإضافة إلى ذلك نجد زوجته التي عاملها بأطيب المعاملات وعاشرها أحسن معاشرة، وقام بواجبه تجاهها وأعطاها كامل حقّها، فنراه مثل بذلك دور الزّوج المحب، الوفي، الصادق، القنوع، وذلك ناتج عن رقّة طبعه وطيبة قلبه وحسن أخلاقه، وسلامة تفكيره، حتى السبايا أو النساء اللّواتي كان يجلبهنّ أثناء غاراته لم يؤذهن أو يمارس عليهنّ أي نوع من أنواع الاضطهاد، فالمرأة بالنسبة لعروة لها مكانتها ولها حقّها، حتى أنّ أكثر شيء يستميل عاطفته هؤلاء النساء الأرامل والأيتام الذين لم يجدوا لغير التسوّل سبيلاً، فمن عدله أنّه لا غير على الكرماء بل همّه الوحيد هو النيل من هؤلاء الأغنياء البخلاء من أجل إعانة الفقراء.

الخاتمة

الخاتمة

بعد حمد الله على فضله وخيره وتوفيقه لنا في إتمام هذا البحث. لابدّ لنا أن نبين أهم النتائج المتوصّل إليها وهي:

- أنّ العصر الجاهلي يختلف عن غيره من العصور اللاّحقة بعدّة مظاهر منها: طبيعة عيشهم، عاداتهم وتقاليدهم، وطبيعة النظام الذي كان يحكمهم، وحتى في تفكيرهم وطبيعة تعاملهم مع غيرهم.

- أنّ الصعاليك هم المتمرّدون على الأوضاع والتقاليد القاسية السائدة في المجتمع الجاهلي، ونجد من صعاليك العصر الجاهلي مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبيلتهم لكثرة جرائمهم، ومجموعة من أبناء الحبشيات الذين نبذهم آباؤهم ومجموعة لم تكن من الخلعاء ولا من أبناء الحبشيات إلا أنهم احترفوا الصعلكة احترافا.

- أنّ نشأة الصعلكة ناتجة عن عدّة أسباب منها: الفقر، غياب الدّولة والسلطة الجامعة، طبيعة الأرض في شبه الجزيرة العربية، محاولة إثبات الشخصية ...

- أنّ للصعاليك خصائص ومميزات انفردوا بها على خلاف غيرهم منها: سرعة العدو، الفخر والشجاعة، الإيثار والكرم، الثورة على واقعهم الاجتماعي والحياة القبلية وما فيها من أعراف ظالمة.

- كما تميز شعرهم بمميزات منها: بروز الذّاتية، وحدة الموضوع، تخيلهم عن المقدّمات الطللية، كان شعرهم عبارة عن مقطوعات شعرية ذات صبغة قصصية.

- نجد أنّ تصعلك عروة لم يكن لنفسه وذاته وإنّما كان من أجل المروءة والتعاون الاجتماعي، كما أنّ صفاته لا توحي بأنّه صعلوك لأنّ الصعلوك هو الفقير المنخلع عن قبيلته وعروة ليس كذلك.

- انفراد عروة عن غيره من الصعاليك بأنّه لم يثر على قبيلته وإنّما كان لسانها المدافع عنها.

- أنّ نظرة الجاهليين للمرأة مختلفة بين محب لها وناقم عليها.

- نالت المرأة حظا وافرا في أشعار عروة بن الورد وخاصة الزوجة التي كان لها أثر بارز في حياته.

– أنّ عروة كان من الطائفة المحبّة للمرأة والمخلصة لها والمشفقة عليها، عامل السبيّة بكل رقة ومودّة ولين حتى ارتقى في بعض الأحيان إلى الحب العفيف والزواج، كما أنّه كان معتزا بأمّه ومدافعاا عنها وعن كرامتها.

هذه بعض نتائج البحث باختصار وانتقاء، إلاّ أنّ البحث يبقى مفتوحا أمام الباحثين والدارسين من أجل الاستزادة والاطلاع أكثر حول تفاصيل هذا الموضوع.

والحمد لله أتممنا بحثنا، الذي بذلنا فيه جهدنا، نأمل أن نكون قدوة للأجيال التي بعدنا، وتكون كلمة السلام عليكم ختاما لكلامنا.

الملحق

عروة بن الورد

أولا: نشأته

ثانيا: شاعريته

ثالثا: إنسانيته

يعد عروة بن الورد من أبرز صعاليك العصر الجاهلي، إذ تعتبر صعلكته من نوع خاص، اختلف هدفه منها عن هدف غيره من الصعاليك، وهذا ما جعله ينفرد ويتميز عن باقي صعاليك عصره، مما أدَّى ذلك إلى ذيوع صيته، وانتشار خبره واشتهاره بين العامة والخاصة.

أولا: نشأته

عروة بن الورد بن زيد، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد[1]، ينتهي نسبه إلى قبيلة عبس بن بغيض[2]، كان لأبيه مقام محمود في حرب داحس (...)، وكانت أمه من بني نهد، وهم ليسوا من أشراف القبائل، فغض ذلك من مزلته[3]، وفي حديث عروة عن أمه، أنه دائم السخط على هذه الصلة التي ربطت بين عروة وأمه، بل إنه يهجو أخواله هجاء مرا (...)، ولعل هذا الإحساس الذي سيطر على نفس عروة بأن أمه أقل شرفا من أبيه هو الذي جعله ينسب كل ما يحسه من عار إلى تلك الصلة التي تربطه بأخواله النهديين، ومعنى هذا أن عروة قد وضع منذ نشأته الأولى بين شقي الرحى، فأبوه تتشائم منه قبيلته، وأمه من قبيلة أقل شرفا.[4]

كان عروة بن الورد يلقب بعروة الصعاليك لجمعه أياهم وقيامه بأمورهم[5]، فقد كان يقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزوة ويعولهم إذا لم يكن عندهم معاش[6]. وكان يعتبر نفسه مسؤولا عن تفريج كرباتهم وضوائق العيش عنهم، ثم في تواضعه الشديد معهم، وتطبيق أكرم صور الاشتراكية معهم ....، ويعللون دائما سبب هذا اللقب بأن عروة كان يجمع ليعولهم ويعطف عليهم، لذلك يقول عنه عبد الملك بن مروان: من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، ويقول أيضا: ما وددت أنَّ أحدا من العرب لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

---

[1]- الأصبهاني، الأغاني، ج2، ص 799.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 173.

[3]- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط5، ج1، 1983، ص 109.

[4]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ص 322، 323.

[5]- ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربية، (د ط)، (د ت)، ص 5.

[6]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج1، ص 212.

واني مرؤ عافى إنائي شركة وانت امرؤ عافى إناءك واحد[1]

توفي عروة بن الورد مقتولا في بعض غاراته، قتله رجل من طهية، وكان ذلك قبل الإسلام بستٍ وعشرين سنة أي في سنة خمسُ مائة وستة وتسعون (596م).[2]

ثانيا: شاعريته

لم يكن عروة بن الورد فارسا صعلوكا جوادا فحسب، وإنّما كان من شعراء العرب المعدودين، حتى أن قومه، بني عبس كانوا يأتمون بشعره[3]، له ديوان طبع في "غوتنجن" مع ترجمة ألمانية سنة ألف وثمن مائة وأربعة وستون (1864)، ثم طبعه ابن شنب سنة ألف وتسعمائة وستة وعشرون (1926م) [4]، ... أغلبه مقطوعات.[5]

اتصف شعره بأنه بدوي الخصائص أكثره في التصعلك والفخر وبعضه في الحماسة والنسب[6]، وأخص ما يميز أسلوب عروة في شعره أنه «أسلوب شعبي»، فهو سهل اللفظ بالقياس إلى شعر سائر الصعاليك، واضح المعنى قريب التعبير، لا تكلف فيه ولا تصنع، ولعل عروة أكثر الشعراء الصعاليك استخداما لتلك المقدمات النسائية التي اصطلح على تسميتها «مقدمات الفروسية في شعر الصعاليك»، كان أبو الصعاليك ينادي بمذهبه في أرجاء المجتمع الجاهلي، وليس من شك أن دعوة عروة هذه قد لقيت إعجابا من هذا المجتمع ظلت أصداؤه مدوية حتى بعد ظهور الإسلام.[7]

أما منزلة عروة في الشعر فقد قال الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء" أنه شاعر كريم وليس بفحل (مجلة الجمعية الشرقية الألمانية سنة 1911، ج15، 495). وقال أبو عبيدة لأبي حاتم السجستاني لما أتاه ليقرأ عليه

---

(1)- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 115.

(2)- ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، ص 6.

(3)- عروة بن الورد، الديوان، ص 12.

(4)- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 173.

(5)- عادل محلو، الصوت والدلالة في شعر الصعاليك (تائية الشنفرى نموذجا)، مقد لنيل شهادة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007/2006، ص 47.

(6)- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج1، ص 212.

(7)- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ص 329، 330.

شعر عروة أنه فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير (أمالي القالي، ج1، ص 269) [1]، وقد عده أبو عبيدة في الطبقة الثالثة من الشعراء وعده صاحب جمهرة أشعار العرب من الشعراء ذوي القصائد المنتقاة.[2]

أما عن ميزة أدبه، فهو أدب إنساني في عاطفته وغاياته، وإن كان ميكافيليا في أساليبه، أما لغته فأقل خشونة من لغة غيره، تنساق مع نعومة عاطفته وأما حكمته فطبيعية مستحبة وإن لم تخلُ من شراسة في ما تدعو إليه من أساليب التحصيل.[3]

وشعره له خصائص سيلاحظها القارئ خلال قراءته لمقطوعاته الشعرية يمكن إيجازها فيما يلي:

- شعر يتميز باللطف.
- شعر يتميز بالقبول لدى القارئ.
- لا نرى منه وقوفا على الأطلال، وبكاءً للديار، وتشبيباً بالمحبوبة الظاعنة ووصف للجواد أو الناقة وغير ذلك.
- شعر خرج بعيداً عن التقليد إلى آفاق رحبة وإلى أغراض إنسانية سامية.
- شعر يمتلئ بجمال المعاني والطراوة والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب والمستهجن.[4]

ثالثا: إنسانيته

إن إنسانية عروة وجوده تتمثل أفضل تمثيل في طريقة حياته ومعاملته للصعاليك الذين كثيرا ما كانوا يتدللون عليه، فيتحملهم لئلا يفسد صنيعه معهم، ويصبر عليهم أعظم الصبر، ويكظم غيظه ويعفوا عنهم أعظم العفو ...، والشيء الغريب أن عروة إذا أعسر وضاقت به الأمور يذهب إلى الذين أثروه من جوده وكرمه، يطلب منهم القليل، والعون الضئيل، فيردونه خائبا، بخفي حنين وهذا ما جعله يقول:

[1]- ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، ص 7.
[2]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 115.
[3]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 173.
[4]- عروة بن الورد، الديوان، ص 12- 14.

ألا إنَّ أصحاب الكنيف رأيتهم كما الناس لما أخضبوا وتمولوا[1]

كذلك كان عروة كريم الأخلاق عفيفا صادقا وفيا بالعهود[2]، كما امتاز بأنه أضفى على الصعلكة كثيرا من الاحترام والتقدير سواء كان في عصره الجاهلي أم فيما وليه من بعض عصور الإسلام، وذلك لما تحلى به عروة من خلق فريد في السخاء والعطف الشديد على الفقراء.[3]

[1]- عروة بن الورد، الديوان ، ص 11.

[2]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج1، ص 213.

[3]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 115.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1- ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1998.

ثانيا: المراجع:

2- معجم الوسيط، تح: إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، ج1، (د ت)، (من أول الهمزة إلى آخر الضاد).

3- ديوان: تأبط شرا، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4- ديوان تأبط شرا، تح: علي بن دوالفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984.

5- جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2004.

6- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، ج9، 1993.

7- جورج غريب، من التراث العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1: 1975، ط2: 1975، ط3: 1980.

8- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تح: خليل مأمون سيخا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2008.

9- حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط)، 2012.

10- حسن عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2007.

11- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986.

12- ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربية، (د ط)، (د ت)

13- ديوان السليك، سعدي الضنادي، دار الكتاب العربي، (د ط)، 1994.

14- ديوان الشنفرى، عمر بن مالك، تح: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996.

15- شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، ط2، 1984.

16- شوقي ضيف، تاريخ الأدبي العربي _العصر الجاهلي_، دار المعارف، ط13، 1990.

17- شوقي ضيف، تاريخ الأدبي العربي _العصر الجاهلي_، دار المعارف، ط24، 2003.

18- أبو العباس المفضل بن محمد الظبي، ديوان المفضليات، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، مجلد1.

19- عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، دار البشير، ط1، 1990.

20- بن عبد ربه (أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج2.

21- عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، دار البصائر، الجزائر، (د ط)، 2012.

22- عمر فروح، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج1، 1971.

23- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر (د ط)، ج15، 1992.

24- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر (د ط)، ج2، 1992.

25- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة 26- الرغاية، الجزائر (د ط)، ج15، 1992. فوزي أمين: دراسات في الشعر الجاهلي، دار المعرفة، (د ط)، 2002.

27- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر العوريني، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2007.

28- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط5، ج1، 1983.

29- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 2005.

30- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط1، 1988.

31- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1978.

ثالثا: المجلات والدوريات:

32- إبراهيم محمود الصغير، "شعراء صعاليك لكنهم نبلاء"، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، العدد 597، جوان 2013، سوريا، السنة 52.

رابعا: الرسائل الجامعية:

33- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب الجامعية الإسلامية_ غزة، 2007.

34- الأمين محمد عبد القادر، القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2008.

35- رزاق زهور، الدلالة الصوتية في شعر الصعاليك، عروة بن الورد نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014.

36- زهور دويكات، صورة المرأة في النثر الجاهلي، مقد لنيل درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013.

37- عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي، مقد، لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب واللغات، منتوري قسنطينة، 2012.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
المدخل: نبذة عن العصر الجاهلي	
أولا: موطن العرب في الجاهلية	1
ثانيا: الإطار الزماني للعصر الجاهلي	1
ثالثا: الحياة في الجاهلية	1
1- الحياة الاقتصادية	2
2- الحياة الاجتماعية	2
3- الحياة السياسية	3
4- الحياة الدينية	3
5- الحياة العقلية	4
6- اللغة	5
الفصل الأول الصعلكة والصعاليك	
أولا: مفهوم الصعلكة	8
1- لغة	8
2- اصطلاحاً	10
ثانيا: نشأتها وأسباب ظهورها	11
1- الفقر	13
2- غياب الدولة والسلطة الجامعة	16
3- طبيعة الأرض في الجزيرة العربية	18
4- التمرّد والخروج عن الأعراف السائدة	20
5- ظهور زعامات غير متزنة	22

6- المغامرة وإثبات الشخصية	23
ثالثا: أخلاق الصعاليك	24
1- الفخر والشجاعة وسرعة العدو	24
2- العنف والقساوة والوحشية	25
3- العطف والشفقة والرحمة	26
4- الإيثار والكرم	26
5- العفّة	27
6- الاشتراكية	29
رابعا: أهم شعراء الصعاليك	30
1- الشنفرى	30
أ- اسمه	30
ب- نسبه	30
ج- مولده ونشأته	31
د- مقتله	31
هـ- أدبه	32
2- تأبط شرا	32
أ- تاريخه	32
ب- أدبه	33
ج- مكانة تأبط شرا بين الشعراء	33
3- السليك بن السلكة	34
خامسا: خصائص شعر الصعاليك	37
الفصل الثاني: صور المرأة في شعر عروة بن الورد	
أولا: حضور المرأة في الجاهلية	41

1- مكانة المرأة في الفكر الجاهلي	41
2- وأْدُها	42
3- حقوقها	44
4- واجباتها	46
ثانيا: صور المرأة عند عروة بن الورد	51
1- الأم عند عروة بن الورد	51
2- الزوجة عند عروة بن لورد	54
الخاتمة	62
الملحق: سيرة عروة بن الورد	
أولا: نشأته	65
ثانيا: شاعريته	66
ثالثا: إنسانيته	67
قائمة المصادر والمراجع	70
فهرس المحتويات	72

ملخص:

نالت المرأة نصيبا وافراً من الشعر في العصر الجاهلي، إذ لا نكاد نلمس شاعرا من شعراء هذا العصر إلاّ ووظف المرأة في شعره، إمّا واصفاً أو معجباً أو متغزلاً أو عاشقاً لها... خاصة المحبوبة التي أطنب الشعراء في الحديث عنها، حتى خصّوا جزءاً من قصائدهم للتغزّل بها، ومن بين هذا الشعر نجد شعر الصعاليك، هذه الطائفة التي لم يصلنا من شعرها إلاّ القليل لسبب من الأسباب، إمّا لعيشهم معزولين في مجاهل الصحراء أو لقلّة أشعارهم وتناثرها بين كتب الأدب وغيرها، وضياع الكثير منها، نجد من بين هؤلاء الصعاليك "عروة بن الورد العبسي" الملقّب "بأمير الصعاليك" الذي وظّف المرأة في شعره ومنحها نصيبا من الوقت للحديث عنها.

وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج كان أهمها:

- أنّ العصر الجاهلي يختلف عن غيره من العصور اللاّحقة بعدّة مظاهر منها: طبيعة عيشهم، عاداتهم وتقاليدهم، وطبيعة النظام الذي كان يحكمهم، وحتى في تفكيرهم وطبيعة تعاملهم مع غيرهم.

- أنّ نشأة الصعلكة ناتجة عن عدّة أسباب منها: الفقر، غياب الدّولة والسلطة الجامعة، طبيعة الأرض في شبه الجزيرة العربية، محاولة إثبات الشخصية ...

- أنّ نظرة الجاهليين للمرأة مختلفة بين محب لها وناقم عليها.

- نالت المرأة حظا وافرا في أشعار عروة بن الورد وخاصة الزوجة التي كان لها أثر بارز في حياته.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الصعاليك، شعر الصعاليك، عروة بن الورد.